

حكومة إقليم كردستان - العراق
وزارة التربية
المديرية العامة للمناهج والمطبوعات

علوم القرآن

المرحلة الخامسة
للمدارس الاسلامية

إعداد

الدكتور كامهران إسماعيل صالح نانهكهلى

المراجعة اللغوية

الخبير. محسن جمال سيد احمد البرزنجي

٢٠١٦ ميلادي

٢٧١٦ كوردى

١٤٣٧ هجري

الطبعة الأولى

الأشراف العلمي على الطبع : محسن جمال سيد احمد البرزنجي
الأشراف الفني على الطبع : عثمان پيرداود كواز - ناري محسن أحمد
تصميم الغلاف : ناري محسن أحمد
تصميم المحتوى : ناشتي عمر على
تنفيذ الأليكتروني : ناشتي عمر على

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد فإنه من المعلوم أن العلوم الإسلامية إنما وضعت لغاية عليا وهي الإعانة على التعمق في فهم الدين واجتناب قصوره الذي قد يحصل لدى بعضهم، ومن هذه العلوم الجليلة علوم القرآن وهي مباحث نفيسة تعين المجتهد والمفسر والمحدث والمتكلم والأصولي، لأن مسائل علوم القرآن منتشرة في سائر العلوم الأخرى التي هي بحاجة ماسة إلى علوم القرآن حيث إن كثيراً من المباحث مشتركة بين علوم القرآن والعلوم الأخرى. ومن هنا كان لزاماً علينا الإمام بهذه المباحث والعلوم وتدريسها ودراستها ووضع منهج قويم يكون آلة نافعة لإدراك معاني القرآن الكريم واستنباط الأحكام منه وتدبر معانيه وشاملاً لمسائله الكثيرة المتشعبة بحيث يكون بعيداً عن الإيجاز المخل والإطناب الممل، ومعتدلاً في عرض الموضوع وملائماً للمدة الزمنية المقررة لدراسته ومعتمداً على صحيح الأقوال والمصنفات القيمة الموثوقة على أن يشتمل كذلك على رد شبهات المغرضين المتربصين بالإسلام وهو من وراء القصد والله نسأل أن يعيننا في هذا القصد المبارك.

الفصل الأول

الدرس الأول معنى علوم القرآن

يقتضي منهج البحث التحليلي أن نبين معنى كل من طرفي هذا المركب الإضافي (علوم القرآن) ، و من ثم نبين بعد ذلك المراد منه بعد التركيب.

فالعلوم: جمع علم، والعلم في اللغة: مصدر بمعنى (الفهم والمعرفة)، ويطلق ومراداً به (اليقين) أيضاً. والعلم في مصطلح علماء التدوين: ((جملة من المسائل المضبوطة بجهة واحدة قد تكون كلية او ضرورية ، او جزئية، او شخصية)) .
وأما القرآن الكريم فقد ذهب العلماء في اشتقاق لفظ القرآن إلى أربعة مذاهب:

المذهب الأول: إن لفظ ((القرآن)) ليس مشتقاً ولا مهموزاً وإنما هو وضع علماً على كلام الله تعالى المنزل على النبي -صلى الله عليه وسلم-
وإلى هذا الرأي ذهب الإمام الشافعي وابن كثير، واختاره السيوطي.

المذهب الثاني: إن لفظ ((القرآن)) غير مهموز، مشتق من (قرن الشيء بالشيء) إذا ضمه إليه، سمي بذلك لقران السور والآيات والحروف فيه.
وإلى هذا الرأي ذهب أبو الحسن الأشعري.

المذهب الثالث: إن لفظ ((القرآن)) غير مهموز ، مشتق من (القرائن) جمع قرينة لأن آياته تصدق بعضها بعضاً وتشبه بعضها بعضاً .
وإلى هذا الرأي ذهب الفراء والقرطبي.

المذهب الرابع: إن لفظ ((القرآن)) مهموز ومشتق من (القرء)، ولكن القائلين بذلك اختلفوا في معنى (قرأ) أ/ فقال بعض منهم الزجاج: إنه مشتق من (قرء) بمعنى (جمع)، يقال في اللغة (قرأت الماء في الحوض) أي جمعته.
قال الراغب : سمي القرآن قرآناً لجمعه ثمرات الكتب المنزلة.
ب/ وقيل إن القرآن مشتق من (القرء) بمعنى (أظهر وبيّن) لأن القارئ يظهر القرآن ويخرجه.
ت/ قال اللحياني ويرى جماعة: أنه مشتق من (قرأ) بمعنى (تلا)، وهو مصدر، سمي به الكتاب المقروء من باب إطلاق المصدر على مفعوله.

وهذا هو الرأي الراجح بدليل قوله تعالى: ((لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۗ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ۗ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ۗ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ۗ)) وقد فسر ابن عباس رضي الله عنهما لفظة (قرآنه) الواردة في الآيات بأنها بمعنى ان تقرأه أو قراءته.

وأما تعريف القرآن اصطلاحاً: فهو الكلام المعجز المنزل على النبي - ﷺ -، المكتوب في المصاحف المنقول عنه بالتواتر، المتعبد بتلاوته.

شرح التعريف:

المنزل على النبي - ﷺ - : قيد خرج به ما لم ينزل مثل الحديث النبوي، وما أنزل على الأنبياء السابقين كالتوراة والإنجيل.

المنقول بالتواتر: قيد خرج به ما سوى القرآن من منسوخ التلاوة، والمنقول بالشهرة أو بالأحاد. المتعبد بتلاوته : قيد خرج به الأحاديث القدسية إذا نقلت بالتواتر.

وأما معنى علوم القرآن اصطلاحاً: فهو (مباحث تتعلق بالقرآن الكريم من حيث نزوله وترتيبه وكتابه وجمعه وقراءته وتفسيره وإعجازه وناسخه ومنسوخه إلى غير ذلك من المباحث التي تذكر في هذا العلم).

أسماء القرآن

للقرآن الكريم أسماء كثيرة منها:

- ١- القرآن، قال تعالى: ((إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ)) .
- ٢- الفرقان، قال تعالى: ((تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ)) .
- ٣- الكتاب، قال تعالى: ((الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ)) .
- ٤- التنزيل، قال تعالى: ((تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ)) .
- ٥- الذكر، قال تعالى: ((إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)) .

فائدة علوم القرآن

- ١- إنه يساعد على دراسة (القرآن الكريم) وفهمه حق الفهم واستنباط الأحكام والآداب منه، بحيث يكون الدارس لهذا العلم على حظ كبير من العلم بالقرآن الكريم.
- ٢- إنّ الدارس لهذا العلم يتسلح بسلاح قوي ، ضد غارات أعداء الإسلام التي شنوها على (القرآن الكريم) زوراً وبهتاناً.

الأسئلة والأجوبة

س ١/ عرّف العلم لغة واصطلاحاً.

ج ١/ العلوم: جمع علم، والعلم في اللغة: مصدر بمعنى (الفهم والمعرفة)، ويطلق ويراد به (اليقين) أيضاً. والعلم في عرف التدوين العام عبارة عن : ((جملة من المسائل المضبوطة بجهة واحدة ..)) .

س ٢/ عرّف علوم القرآن.

ج ٢/ علوم القرآن : مباحث تتعلق بالقرآن الكريم من حيث نزوله وترتيبه وكتابه وجمعه وقراءته وتفسيره وإعجازه وناسخه ومنسوخه إلى غير ذلك من المباحث التي تذكر في هذا العلم.

س ٣/ ذهب بعض العلماء إلى أن لفظ القرآن مشتق غير مهموز، وضح ذلك.

ج ٣/ ذهب بعض العلماء إلى أن لفظ ((القرآن)) غير مهموز، مشتق من (قرن الشيء بالشيء) إذا ضمه إليه، سمي بذلك لقران السور والآيات والحروف فيه.

وإلى هذا الرأي ذهب أبو الحسن الأشعري.

وذهب بعض آخر إلى إن لفظ ((القرآن)) غير مهموز ، مشتق من (القارئ) جمع قرينة لأن آياته يصدق بعضها بعضاً ويشابه بعضها بعضاً.

وإلى هذا الرأي ذهب الفراء والقرطبي.

س ٤/ ذهب بعض العلماء إلى أن لفظ القرآن مشتق من قرأ، ولكنهم اختلفوا في معنى قرأ، بيّن ذلك الاختلاف.

ج ٤/ ذهب بعض العلماء إلى إن لفظ ((القرآن)) مهموز ومشتق من (قرأ)، ولكن القائلين بذلك اختلفوا في معنى (قرأ).

أ/ فقال بعض منهم الزجاج: إنه مشتق من (قرأ) بمعنى (جمع)، يقال في اللغة (قرأت الماء في الحوض) أي جمعته. قال الراغب : سمي القرآن قرآناً لجمعه ثمرات الكتب المنزلة.

ب/ قيل إن القرآن مشتق من (قرأ) بمعنى (أظهر وبيّن) لأن القارئ يظهر القرآن ويخرجه.

ت/ قال اللحياني وجماعة: إنه مشتق من (قرأ) بمعنى (تلا)، وهو مصدر، سمي به الكتاب المقروء من باب إطلاق المصدر على مفعوله.

س ٥/ عرّف القرآن اصطلاحاً.

ج ٥/ هو اللفظ المنزل على النبي - ﷺ -، المنقول عنه بالتواتر، المتعبد بتلاوته.

س ٦/ وضع العلماء في تعريف القرآن الكريم قيد (المنزل على النبي ﷺ)، ما فائدة هذا القيد؟

ج ٦/ المنزل على النبي - ﷺ - : قيد خرج به ما لم ينزل مثل الحديث النبوي، وما أنزل على الأنبياء السابقين كالتوراة والإنجيل.

س ٧/ وضع العلماء في تعريف القرآن الكريم قيد (المنقول بالتواتر)، ما فائدة هذا القيد؟

ج ٧/ المنقول بالتواتر: قيد خرج به ما سوى القرآن من منسوخ التلاوة، والمنقول بالشهرة أو بالآحاد.

س٨ / وضع العلماء في تعريف القرآن الكريم قيد (المتعبد بتلاوته)، ما فائدة هذا القيد؟

ج٨ / المتعبد بتلاوته : قيد خرج به الأحاديث القدسية إذا نقلت بالتواتر.

س٩ / للقرآن الكريم أسماء كثيرة، اذكرها.

ج٩ / ١- القرآن، قال تعالى: ((إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ)).

٢- الفرقان، قال تعالى: ((تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ))

٣- الكتاب، قال تعالى: ((الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ)).

٤- التنزيل، قال تعالى: ((تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ)).

٥- الذكر، قال تعالى: ((إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)).

س١٠ / ما فائدة علوم القرآن ؟

ج١٠ /

١- إنه يساعد على دراسة (القرآن الكريم) وفهمه حق الفهم واستنباط الأحكام والآداب منه ، بحيث يكون الدارس

لهذا العلم على حظ كبير من العلم بالقرآن الكريم.

٢- إن الدارس لهذا العلم يتسلح بسلاح قوي ، ضد غارات أعداء الإسلام التي شنوها على (القرآن الكريم)

زوراً وبهتاناً.

الدرس الثاني نزول القرآن الكريم

النزول لغة:

- ١- يطلق ويراد به: الحلول: يقال: نزل فلان بالمدينة: أي حلَّ بها.
- ٢- ويطلق أيضاً: على انحدار في مكان الشيء من علو إلى سفلى، يقال: نزل فلان من الجبل.

معنى نزول القرآن الكريم:

يقصد من إنزال القرآن:

- ١- إنزال حامله وهو الروح الأمين (جبريل) عليه السلام.
- ٢- إنزال القرآن على النبي - ﷺ -: إيصاله إليه وإعلامه به.

وجودات القرآن الكريم:

للقرآن الكريم وجودات ثلاثة:

- ١- وجوده في اللوح المحفوظ .
- ٢- وجوده في السماء الدنيا .
- ٣- وجوده في الأرض بنزوله على النبي - ﷺ - .

وجود القرآن الكريم قبل النزول:

كان القرآن الكريم قبل نزوله ثابتاً وموجوداً في اللوح المحفوظ، كما قال تعالى: ((بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿١١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿١٢﴾))، وهذا اللوح المحفوظ هو الكتاب المكنون الذي ذكره الله تعالى في قوله: ((إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾))

نزولات القرآن الكريم على النحو الآتي :

للقرآن الكريم ثلاث نزولات :

- ١- نزوله من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا.
 - ٢- نزوله إلى بيت العزة في السماء الدنيا .
 - ٣- نزوله من السماء الدنيا على قلب النبي - ﷺ - (نزل به الروح الأمين على قلبك ..) سورة الشعراء (١٩٣)
- النزول الأول: هو نزول القرآن الكريم من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا جملة واحدة. وكان هذا النزول بعد نبوته - ﷺ - على أرجح القولين، وقد حدث هذا النزول في شهر رمضان ليلة القدر.

● والدليل على ذلك - نزول القرآن من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا:

- ١ - قوله تعالى في سورة (القدر): ((إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ))، وقوله تعالى في سورة (الدخان): ((إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ))، وقوله تعالى أيضاً في سورة (البقرة): ((شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ))، و(الإنزال) أكثر ما يرد في لسان العرب فيما نزل جملة واحدة، فدللت الآيات على أن القرآن الكريم نزل جملة واحدة في ليلة القدر، أخذاً من سورة (القدر)، وهي الليلة المباركة، أخذاً من سورة (الدخان)، وهي ليلة من ليالي شهر رمضان، أخذاً من سورة (البقرة).
- ٢ - أخرج الحاكم وغيره عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال: ((فصل القرآن من الذكر، فوضع في بيت العزة من السماء الدنيا فجعل جبريل عليه السلام ينزل به على النبي - ﷺ -))، قال الحافظ في الفتح: إسناده صحيح.

حكمة هذا النزول:

- ١ - تفخيم شأن القرآن، وشأن من نزل عليه، وشأن من سينزل إليهم، بإعلام سكان السماوات من الملائكة بأن هذا آخر الكتب المنزلة، على خاتم الرسل، لأشرف الأمم، وهي الأمة الإسلامية.
- ٢ - تفضيل القرآن الكريم على غيره من الكتب السماوية، بأن جمع الله له النزولين، النزول جملة واحدة، والنزول مفرداً، وبذلك شارك الكتب السماوية في الأولى، وانفرد في الفضل عليها بالثانية، وهذا يعود بالتفضيل لنا - ﷺ - على سائر إخوانه من الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - ذوي الكتب المنزلة، وأن الله جمع له من الخصائص ما لغيره وزاد عليها.

النزول الثاني: هو نزول القرآن من بيت العزة في السماء الدنيا إلى الأرض على قلب النبي - ﷺ - ، وقد نزل به جبريل عليه السلام على النبي - ﷺ - منجماً مفرداً، على حسب الوقائع والحوادث وحاجات الناس.

مدة هذا النزول:

لقد اختلف العلماء في مدة هذا النزول، فقليل: عشرون سنة، وقيل: ثلاث وعشرون سنة، وقيل: خمس وعشرون سنة، وأقربها إلى الحق والصواب هو أوسطها، وهو ثلاث وعشرون سنة، وهذا على سبيل التقريب.

● ويدل على هذا النزول:

قال تعالى: ((وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ)) .
وقال تعالى: ((الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا)) .

الدليل على نزول القرآن منجماً مفرقاً:

المعروف الثابت: أن القرآن الكريم نزل على النبي - ﷺ - مفرقاً، ويدل على هذا القرآن الكريم والسنة الصحيحة: أما القرآن: فقوله تعالى: ((وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا)).

وقوله تعالى: ((وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِيُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا)).

أما السنن الصحيحة: فقد ورد فيها ما يدل على نزول القرآن منجماً مفرقاً، ففي الصحيحين عن عائشة - رضي الله عنها-: ((أن أول ما نزل صدر سورة (اقرأ) إلى قوله تعالى: ((مَا لَمْ يَعْلَمْ))، وفي الصحيحين أيضاً عن جابر - رضي الله عنه-: ((أن أول ما نزل بعد فترة الوحي سورة (المدثر) إلى قوله تعالى: ((وَالرُّجْزَ فَاهُجْرًا))، وكذلك روي عن ابن عباس وغيره من الصحابة - رضي الله عنهم-.

حكمة تنزيل القرآن منجماً:

١- تثبيت فؤاد النبي - صلى الله عليه وسلم-، وتقوية قلبه.

وقد صرح القرآن الكريم بهذه الحكمة في قوله تعالى: ((كَذَلِكَ لِيُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ))، فالآية تفيد أن نزول القرآن الكريم منجماً كان المقصود منه تثبيت فؤاد النبي - ﷺ -، وتقوية قلبه.

٢- حفظ القرآن و سروره و زيادة اطمئنانه وفهمه على المسلمين.

ما من شك في أن إنزال القرآن الكريم مفرقاً سهل على المسلمين حفظ ألفاظه، وفهم أحكامه، ومعرفة أهدافه، فلو أنزل جملة واحدة لشق عليهم حفظ ألفاظه فضلاً عن فهم معانيه، قال تعالى: ((وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا)).

٣- مجارة الحوادث والنوازل والأحوال في تجددها و تفرقها :

ويندرج تحت هذه الحكمة ما يلي:

أ- الأفضية والوقائع التي كانت تحدث في عهد الرسالة، فيحتاج الناس إلى معرفة حكمها، فتتزل الآيات مبينة الحكم، وهي كثيرة منها: حادثة (خولة بنت ثعلبة) التي ظاهر منها زوجها (أوس بن الصامت) ثم ندم على ما فعل وقال: (ما أظنك إلا قد حرمت علي) فشق ذلك عليها، فأنت رسول الله - ﷺ - وشكت إليه وقالت: يا رسول الله إن لي منه صببية صغاراً إن ضممتهم إلي جاعوا، وإن ضممتهم إليه ضاعوا. فقال الرسول - ﷺ -: ((ما أراك إلا قد حرمت عليه، فاستقبلت السماء تشكو إلى الله تعالى فنزل قوله تعالى: ((وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا ذَلِكَ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)) (المجادلة ٣).

ب- إجابات السائلين على أسئلتهم التي كانوا يوجهونها إلى النبي - ﷺ -، سواء أكانت هذه الأسئلة لغرض التثبيت والتأكد من رسالته، أم كانت للاسترشاد والمعرفة، ومن النوع الأول السؤال عن الروح، قال تعالى: ((وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ

الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا)) (اسراء ٨٥) ،

ومن النوع الثاني، قال تعالى: ((وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوُ)) (البقرة ٢١٩) .

ج- تصحيح أخطاء المسلمين ، وإرشادهم إلى الحق والصواب من ذلك ما نزل في غزوة أحد عندما خالف الرماة أوامر النبي - ﷺ - ، فتسببوا في إلحاق أضرار جسيمة بالمسلمين، قال تعالى: ((ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنْكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ)) (آل عمران ١٥٤) ،

ومنه أيضاً: ما نزل في غزوة حنين عندما أعجب المسلمون بكثرة عددهم، قال تعالى: ((وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبْتَكُمْ كَثُرْتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ)) (التوبة ٢٥) .

د- كشف حال المنافقين، وفضح أسرارهم، وإطلاع المسلمين على مكائدهم ودسائسهم، ليكونوا دائماً على حذر منهم.

هـ - التدرج في التشريع و تربية الامة الاسلامية :

هدف القرآن تربية أمة، وإنشاء مجتمع، وإقامة نظام، والتربية تحتاج إلى زمن وإلى تأثير وانفعال بالكلمة، وإلى حركة تترجم التأثير والانفعال إلى واقع. والنفوس البشرية لا تتحول تحولاً كاملاً شاملاً بين يوم وليلة بقراءة كتاب كامل شامل للمنهج الجديد. وإنما تتأثر به يوماً بعد يوم ، وتعتاد على حمل تكاليفه شيئاً فشيئاً، فلو أنزل القرآن الكريم بما حوى من عقائد ومعاملات وأخلاق وعبادات دفعة واحدة لما تمكن من القلوب، وربما نفر من قبوله كثير من الناس، من أجل ذلك كله نزل القرآن الكريم مفرقاً، ويظهر هذا جلياً في التدرج في تحريم الخمر فقد نزل أولاً قوله تعالى: ((إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيُضِدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ)) (المائدة ٩١) ، فنفر منها كثير من العقلاء ترجيحاً للمصلحة على المفسدة، ثم نزل قوله تعالى: ((لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَايِبِ أَوْ لَمْ تُجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا غَفُورًا)) (النساء ٤٣) ، فابتعد عنها المسلمون خلال النهار حتى لا يفاجئهم وقت الصلاة وهم سكارى، ثم نزلت الآية الكريمة:

((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)) ، (المائدة ٩٠) ، عندئذ اجتنبها المسلمون.

الأسئلة والأجوبة

س ١/ ما معنى نزول القرآن الكريم؟

ج ١/ يقصد من إنزال القرآن:

١- إنزال حامله وهو الروح الأمين (جبريل) عليه السلام.

٢- إنزال القرآن على النبي -ﷺ-: إيصاله إليه وإعلامه به.

س ٢/ عرّف النزول الأول؟

ج ٢/ النزول الأول: هو نزول القرآن الكريم من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا جملة واحدة. وكان هذا النزول بعد نبوته -ﷺ- على أرجح القولين، وقد حدث هذا النزول في شهر رمضان ليلة القدر.

س ٣/ ما الدليل على نزول القرآن الكريم من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا (ما الدليل على النزول الأول)؟

ج ٣/ ١- قوله تعالى في سورة (القدر): ((إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ))، وقوله تعالى في سورة (الدخان): ((إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ))، وقوله تعالى أيضاً في سورة (البقرة): ((شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ))، و(الإنزال) أكثر ما يرد في لسان العرب فيما نزل جملة واحدة، فدللت الآيات على أن القرآن الكريم نزل جملة واحدة في ليلة القدر، أخذاً من سورة (القدر)، وهي الليلة المباركة، أخذاً من صورة (الدخان)، وهي ليلة من ليالي شهر رمضان، أخذاً من صورة (البقرة).
٢- أخرج الحاكم وغيره عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس قال: ((فصل القرآن من الذكر، فوضع في بيت العزة من السماء الدنيا فجعل جبريل عليه السلام ينزل به على النبي -ﷺ-)، قال الحافظ في الفتح: وإسناده صحيح.

س ٤/ ما الحكمة من النزول الأول (ما الحكمة في نزول القرآن الكريم من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا) ؟

ج ٤/ ١- تفخيم شأن القرآن، وشأن من نزل عليه، وشأن من سينزل إليهم، بإعلام سكان السماوات من الملائكة بأن هذا آخر الكتب المنزلة، على خاتم الرسل، لأشرف الأمم، وهي الأمة الإسلامية.
٢- تفضيل القرآن الكريم على غيره من الكتب السماوية، بأن جمع الله له النزولين، النزول جملة واحدة، والنزول مفرقا، وبذلك شارك الكتب السماوية في الأولى، وانفرد في الفضل عليها بالثانية، وهذا يعود بالتفضيل لنبينا -صلى الله عليه وسلم- على سائر إخوانه من الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- ذوي الكتب المنزلة، وأن الله جمع له من الخصائص ما غيره وزاد عليها.

س ٥/ عرّف النزول الثاني؟

ج ٥/ النزول الثاني: هو نزول القرآن من بيت العزة في السماء الدنيا إلى الأرض على قلب النبي -ﷺ-، وقد نزل به جبريل عليه السلام على النبي -صلى الله عليه وسلم- منجماً مفرقاً، على حسب الوقائع والحوادث وحاجات الناس.

س٦ / اذكر دليلاً واحداً من الكتاب والسنة على نزول القرآن الكريم على النبي ﷺ منجماً مفرقاً.
ج٦ / المعروف الثابت: أن القرآن الكريم نزل على النبي - (ﷺ) - مفرقاً، ويدل على هذا القرآن الكريم والسنة الصحيحة:

أما القرآن: فقوله تعالى: ((وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا)).
وقوله تعالى: ((وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا)).
أما السنن الصحيحة: فقد ورد فيها ما يدل على نزول القرآن منجماً مفرقاً، ففي الصحيحين عن عائشة - رضي الله عنها-: ((أن أول ما نزل صدر سورة (اقرأ) إلى قوله تعالى: ((مَا لَمْ يَعْلَمُ))، وفي الصحيحين أيضاً عن جابر - رضي الله عنه-: ((أن أول ما نزل بعد فترة الوحي سورة (المدثر) إلى قوله تعالى: ((وَالرُّجْزَ فَاهُجْرُ))، وكذلك روي عن ابن عباس وغيره من الصحابة - رضي الله عنهم-.

س٧ / من حكمة تنزيل القرآن منجماً (تيسير حفظه وفهمه على المسلمين)، وضع ذلك مع ذكر الدليل.

ج٧ / تيسير حفظه وفهمه على المسلمين.

ما من شك في أن إنزال القرآن الكريم مفرقاً سهل على المسلمين حفظ ألفاظه، وفهم أحكامه، ومعرفة أهدافه، فلو أنزل جملة واحدة لشق عليهم حفظ ألفاظه فضلاً عن فهم معانيه، قال تعالى: ((وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا)).

٣ - مجازاة الحوادث والنوازل والأحوال.

الدرس الثالث

الوحي

الوحي لغة:

أطلقت كلمة الوحي في أصل اللغة على معان متعددة أشهرها:

- ١- الإشارة: ومنه قوله تعالى: ((فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا))، أي أشار إليهم ولم يتكلم.
- ٢- الرسالة: قال الأعرابي: أوحى الرجل إذا بعث برسول ثقة إلى عبد من عبيده ثقة.
- ٣- الإلهام: كقوله تعالى: ((وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ))، وقوله تعالى: ((وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ)).
- ٤- الكلام الخفي: قال الكسائي: (أوحيت إليه بالكلام وأوحيت إليه، وهو أن تكلمه بكلام تخفيه من غيره).
- قال تعالى: ((وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ))، أي: يوسوسون فيلقون في قلوبهم الجدل بالباطل.
- ٥- الأمر: كقوله تعالى: ((يَا نَبَّأَ رَبِّكَ أَوْحَى لَهَا)).
- ٦- الكتابة والمكتوب والكتاب.

فالإلهام في معنى الوحي اللغوي:

(أنه الإعلام الخفي السريع، وهو أعم من أن يكون بإشارة أو رسالة أو كتابة أو إلهام، وهو بهذا المعنى لا يختص بالأنبياء -عليهم السلام-، ولا بكونه من عند الله سبحانه وتعالى).

الوحي بالمعنى الاصطلاحي: (هو أن يعلم الله سبحانه وتعالى من اصطفاه من عباده كل ما أراد إطلاع عليه من ألوان الهداية والعلم، ولكن بطريقة سرية خفية غير معتادة للبشر)، فقد خص المصدر بالله سبحانه وتعالى، وخص المورد بالأنبياء -عليهم الصلاة والسلام).

أنواع الوحي (أقسام الوحي):

جمع الله سبحانه وتعالى أنواع الوحي في قوله عز وجل: ((وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ)) تفيد هذه الآية الكريمة أنه: ما صح لأحد من البشر أن يكلمه الله تعالى إلا على أحد ثلاثة أوجه، هي:

الوجه الأول: (وحيًا)

١- الإلهام والنفث في القلب: بأن يلقي الله تعالى أو الملك الموكل بالوحي في قلب نبيه -عليه السلام- ما يريد، مع تيقنه أن ما ألقى إليه من قبل الله تعالى، وذلك مثل ما ورد في حديث: ((إن روح القدس نفث في روعي، لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب)).

ب- الرؤيا في المنام: رؤيا الأنبياء -عليهم السلام- وحي، كما أوحى الله تعالى إلى إبراهيم -عليه السلام- بذبح ولده إسماعيل -عليه السلام-، وكذلك مثل رؤية نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- في منامه أنهم سيدخلون البلد الحرام، وقد كان، قال تعالى: ((لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ...)).

الوجه الثاني: (أو من وراء حجاب)

أي: تكليم الله نبيه بما يريد من وراء حجاب، وذلك: إما في اليقظة: كما أسمع الله تعالى نبيه موسى -عليه السلام- كلامه من غير واسطة، ((وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا))، ومثل ما حدث لنبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- ليلة الإسراء والمعراج، وإما في المنام، كما في حديث معاذ مرفوعاً: ((أتاني ربي، فقال: فيم يختصم الملائكة الأعلى...)).

الوجه الثالث: (أو يرسل رسولاً)

أي: أن يرسل إليه رسولاً من الملائكة، فيبلغ ذلك الملك ذلك الوحي إلى الرسول البشري، ورسول الملائكة هو جبريل -عليه السلام-.

ولتنزيل جبريل -عليه السلام- على الرسول -صلى الله عليه وسلم- أساليب مختلفة:

١- أن يأتي إلى النبي -ﷺ- على صورته الحقيقية الملكية، وهذه الحالة نادرة وقليلة، وقد ورد عن السيدة عائشة -رضي الله عنها- أن النبي -ﷺ- لم ير جبريل -عليه السلام- على هذه الحالة إلا مرتين: مرة في الأرض، وهو نازل من غار حراء، ومرة أخرى في السماء عند (سدرة المنتهى) ليلة المعراج.

٢- أن يأتي إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- على صورة رجل فيكلمه، كما في صحيح البخاري ((وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول)).

٣- أن يأتي إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- خفية دون أن يراه أحد، فيظهر عليه أثر التغيير والانفعال، لكن الرسول -صلى الله عليه وسلم- يصف حالته عند الوحي فيقول: بأن الملك يأتيه في مثل صلصلة الجرس كما في صحيح البخاري ((أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال)).

وأما بالنسبة لتلقي النبي - ﷺ الوحي-، فالوحي الذي بوساطة جبريل -عليه السلام- على حالتين:

أولاً: أن ينسلخ النبي - ﷺ - من حالته البشرية العادية إلى حالة أخرى، بما يحصل له استعداد لتلقي الوحي من جبريل -عليه السلام-، وهو على حالته الملكية، وفي هذه الحالة قد يسمع عند مجيء الوحي صوت شديد كصلصة الجرس، وأحياناً يسمع الحاضرون صوتاً عند مجيء الوحي كدويّ النحل، وتأخذ النبي -صلى الله عليه وسلم- حالة شديدة روحانية، يثقل جسمه حتى لتكاد الناقة التي يركبها تبرك، وإذا جاءت فخذة على فخذ إنسان تكاد ترضها، ويتصبب عرقه كما قالت عائشة -رضي الله عنها-: ((ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه وإنّ جبينه ليتفصد عرقاً))، فإذا ما سرّي عنه وجد نفسه واعياً لكل ما سمع من الوحي فيبلغ ما سمعه، وهذه الحالة أشد حالات الوحي على النبي -صلى الله عليه وسلم-، يشير إلى هذا قوله تعالى: ((إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا))، وعلى هذه الحالة تلقى القرآن الكريم.

ثانياً: أن يتحول جبريل -عليه السلام- من الملكية إلى الصورة البشرية، فيأتي في صورة رجل، فيأخذ عنه الرسول -صلى الله عليه وسلم- ويسمع منه، وكثيراً ما كان جبريل -عليه السلام- يأتي في هذه الحالة في صورة (دحية الكلبي)، أو صورة أعرابي لا يعرف، وهذه الحالة أهون الحالين على الرسول -صلى الله عليه وسلم-، ويدل على ما ذكرنا ما رواه البخاري في صحيحه بسنده عن عائشة -رضي الله عنها-: أنّ الحارث بن هشام -رضي الله عنه- سأل رسول الله - ﷺ - فقال: يا رسول الله - ﷺ - كيف يأتيك الوحي، فقال رسول الله - ﷺ -: ((أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده عليّ، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول)).

الأسئلة والأجوبة

- س ١/ أطلقت كلمة الوحي في أصل اللغة على معان متعددة، اذكرها.
ج ١/ أطلقت كلمة الوحي في أصل اللغة على معان متعددة أشهرها:
١ - الإشارة: ومنه قوله تعالى: ((فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا))، أي أشار إليهم ولم يتكلم.
٢ - الرسالة: قال الأعرابي: أوحى الرجل إذا بعث برسول ثقة إلى عبد من عبيده ثقة.
٣ - الإلهام: كقوله تعالى: ((وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ))، وقوله تعالى: ((وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ)).
٤ - الكلام الخفي: قال الكسائي: (أوحيت إليه بالكلام وأوحيت إليه، وهو أن تكلمه بكلام تخفيه من غيره).
قال تعالى: ((وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ))، أي: يوسوسون فيلقون في قلوبهم الجدل بالباطل.
٥ - الأمر: كقوله تعالى: ((بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا)).
٦ - الكتابة والمكتوب والكتاب.

س ٢/ عرّف الوحي اصطلاحاً.

- ج ٢/ هو أن يعلم الله سبحانه تعالى من اصطفاه من عباده كل ما أراد إطلاعه عليه من ألوان الهداية والعلم، ولكن بطريقة سرية خفية غير معتادة للبشر
س ٣/ من أنواع الوحي (وحيا) وضح ذلك مع ذكر الدليل.
ج ٣/ وحياً : أ- الإلهام والنفث في القلب: بأن يلقي الله تعالى أو الملك الموكل بالوحي في قلب نبيه -عليه السلام- ما يريد، مع تيقنه أن ما ألقى إليه من قبل الله تعالى، وذلك مثل ما ورد في حديث: ((إن روح القدس نفث في روعي، لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب)).
ب- الرؤيا في المنام: رؤيا الأنبياء -عليهم السلام- وحي، كما أوحى الله تعالى إلى إبراهيم -عليه السلام- بذبح ولده إسماعيل -عليه السلام-، وكذلك مثل رؤية نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- في منامه أنهم سيدخلون البلد الحرام، وقد كان، قال تعالى: ((لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِِنْ شَاءَ اللَّهُ...)).

س ٤/ من أقسام الوحي (أو من وراء حجاب) وضح ذلك مع ذكر الدليل.

- ج ٤/ أي: تكليم الله نبيه بما يريد من وراء حجاب، وذلك: إما في اليقظة: كما أسمع الله تعالى نبيه موسى -عليه السلام- كلامه من غير واسطة، ((وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا))، ومثل ما حدث لنبينا محمد -ﷺ- ليلة الإسراء والمعراج، وإما في المنام، كما في حديث معاذ مرفوعاً: ((أتاني ربي، فقال: فيم يختصم الملائة الأعلى...)).

- س ٥ / لتنزيل جبريل عليه السلام على الرسول صلى الله عليه وسلم أساليب مختلفة، اذكرها.
- ج ٥ / ١- أن يأتي إلى النبي -ﷺ- على صورته الحقيقية الملكية، وهذه الحالة نادرة وقليلة، وقد ورد عن السيدة عائشة -رضي الله عنها- أن النبي -ﷺ- لم ير جبريل -عليه السلام- على هذه الحالة إلا مرتين: مرة في الأرض، وهو نازل من غار (حراء)، ومرة أخرى في السماء عند (سدره المنتهى) ليلة المعراج.
- ٢- أن يأتي إلى النبي -ﷺ- على صورة رجل فيكلمه، كما في صحيح البخاري ((وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول)).
- ٣- أن يأتي إلى النبي -ﷺ- خفية دون أن يراه أحد، فيظهر عليه أثر التغيير والانفعال، لكن الرسول -صلى الله عليه وسلم- يصف حالته عند الوحي فيقول: بأن الملك يأتيه في مثل صلصلة الجرس كما في صحيح البخاري ((أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال)).

الدرس الرابع علم المكي والمدني

تعريف المكي والمدني

القرآن الكريم لم ينزل جملة واحدة، بل نزل مفرقاً، كما هو معروف، وقد استغرق نزول القرآن الكريم ثلاثة وعشرين عاماً. ثلاثة عشر منها في مكة، وعشر سنين في المدينة. ومن القرآن الكريم ما نزل في مكة، ومنه ما نزل في المدينة، ومنه ما نزل خارج مكة والمدينة، ومنه ما نزل في الليل، ومنه ما نزل في النهار. وهكذا كان ينزل القرآن الكريم في مختلف الأوقات، ومختلف الأماكن التي يؤمها رسول الله - ﷺ -. وقد اهتم العلماء بهذا الجانب من تأريخ القرآن الكريم، وتتبعوا السور والآيات، يبينون وقت نزولها أو مكانه، وقد أطلق على هذا الموضوع (علم المكي والمدني).

وللعلماء في تعريف المكي والمدني ثلاثة مذاهب:

الأول: أن المكي ما نزل من القرآن الكريم قبل الهجرة وإن نزل في غير مكة، والمدني ما نزل من القرآن الكريم بعد الهجرة وإن نزل في غير المدينة.

الثاني: أن المكي ما نزل في مكة، والمدني ما نزل في المدينة.

الثالث: أن المكي ما جاء خطاباً لأهل مكة، والمدني ما جاء خطاباً لأهل المدينة.

وقد رجح معظم العلماء التعريف الأول، لأنه يقوم على أساس شامل، لأن السور أو الآيات لا بد أن تكون قد نزلت قبل هجرة النبي - ﷺ - إلى المدينة، أو بعدها، بغض النظر عن مكان النزول، والذي يدل على ذلك قوله تعالى: ((إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا)) هذه الآية مدنية مع أنها نزلت في المسجد الحرام في مكة عام الفتح.

معرفة المكي والمدني

لم يرد عن النبي - ﷺ - شيء في بيان المكي والمدني، لأن الصحابة -رضي الله عنهم- كانوا في غنى عن هذا البيان، لأنهم شاهدوا الوحي، وحضروا مكانه وزمانه، ووقفوا على أسباب النزول ومقتضياته.

إذاً: يكون السبيل الوحيد لمعرفة المكي والمدني هو النقل الصحيح عن الصحابة -رضي الله عنهم-.

قال ابن مسعود -رضي الله عنه-: (والله الذي لا إله إلا هو ما نزلت سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت، ولا نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيم نزلت).

السور المكية والمدنية

إن سور القرآن الكريم من حيث كونها مكية أو مدنية تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول:

سور اتفقت الروايات، واتحدت الآثار على أنها مدنية، وهي تسع عشرة سورة.

القسم الثاني:

سور اختلفت فيها الروايات وتعارضت النقول، فأفاد بعضها أنها مكية وأفاد البعض الآخر أنها مدنية، وهي ثلاث وعشرون سورة.

القسم الثالث:

سور اتفقت الروايات على أنها مكية وهي باقي السور، وعددها ثنتان وسبعون سورة.

خصائص السور المكية والسور المدنية

وضع العلماء علامات وضوابط يعرف بها المكي والمدني من سور القرآن الكريم نبين أهمها فيما يأتي:

أ- ضوابط السور المكية:

- ١- إذا وجد لفظ (كالا) .
- ٢- إذا وجدت سجدة فيها.
- ٣- إذا ورد فيها لفظ (يا بني آدم) .
- وهذه العلامات الثلاث مطردة.
- ٤- إذا افتتحت السورة بحروف التهجي مثل: ألم، أرى، طسم، حم، فهي مكية، إلا سورتين هي البقرة وآل عمران فهما مدنيتان بالإجماع مع كونهما مفتحتين بحروف التهجي.
- ٥- اشتغالها على ذكر أبناء الرسل -عليهم السلام- وأحوال الأمم السابقة لما فيها من أبلغ المواعظ وأنفع العبر إلا سورة البقرة فهي مع اشتغالها على ذكر قصص بعض الرسل -عليهم السلام- مدنية.
- ٦- قصر آياتها، وهذه علامة غالبية، فسورة النصر مع قصرها مدنية.
- ٧- عنايتها بالدعوة إلى الإيمان بالله تعالى وتوحيده، وإلى الإيمان بالرسول -عليهم السلام- وبرسالة النبي محمد -صلى الله عليه وسلم-، والإيمان بالملائكة واليوم الآخر، مع البراهين العقلية وتسفيه أحلام المشركين وعبادتهم.
- ٨- فيها الحث على التحلي بأصول الفضائل من الصدق والصبر والأمانة والعدل وحسن المعاملة وبر الوالدين والتواضع، وهذه صفة غالبية أيضاً.
- ٩- كل سورة فيها (يا أيها الناس) و ليس فيها (يا أيها الذين آمنوا)

ب- علامات السور المدنية:

- ١- إذا وجد لفظ (يأيها الذين آمنوا) في الآية فهي مدنية، لأن الإيمان كان غالباً على أهل المدينة.
 - ٢- فيها دعوة أهل الكتابين اليهود والنصارى إلى الإسلام.
 - ٣- فيها الإذن بالجهاد وبيان أحكامه، لأن الجهاد لم يشرع إلا بالمدينة.
 - ٤- فيها قواعد التشريع التفصيلية والأحكام العملية في العبادات والمعاملات والميراث والحدود والفرائض وأحكام نظام الأسرة والأنظمة الأخرى.
 - ٥- فيها بيان أحوال المنافقين وموقفهم من الإسلام.
- وهذه العلامات الخمس مطردة.
- ٦- طول أكثر سورها وآياتها، لما اشتملت عليه من التشريعات والأحكام، وهذه علامة غالبية، إذ قد توجد سورة طويلة وآياتها طوال وهي مكية كسورة الأنعام.

الأسئلة والأجوبة

س ١/ عرّف المكي، ثم اذكر علامتين من علامات السور المكية.

ج ١/ المكي ما نزل من القرآن الكريم قبل الهجرة وإن نزل في غير مكة.

١- إذا وجد لفظ (كلا) فيها.

٢- إذا وجدت آية سجدة فيها.

س ٢/ عرّف المدني، ثم اذكر علامتين من علامات السور المدنية.

ج ٢/ المدني ما نزل من القرآن الكريم بعد الهجرة وإن نزل في غير المدينة.

١- إذا وجد لفظ (يأيها الذين آمنوا) في الآية فهي مدنية، لأن الإيمان كان غالباً على أهل المدينة.

٢- فيها دعوة أهل الكتابين اليهود والنصارى إلى الإسلام.

س ٣/ ما الطريق لمعرفة المكي والمدني.

ج ٣/ لم يرد عن النبي - ﷺ - شيء في بيان المكي والمدني، لأن الصحابة -رضي الله عنهم- كانوا في غنى عن هذا

البيان، لأنهم شاهدوا الوحي، وحضروا مكانه وزمانه، ووقفوا على أسباب النزول ومقتضياته.

إذاً: يكون السبيل الوحيد لمعرفة المكي والمدني هو النقل الصحيح عن الصحابة -رضي الله عنهم-.

قال ابن مسعود -رضي الله عنه-: (والله الذي لا إله إلا هو ما نزلت سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت، ولا

نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيم نزلت).

الدرس الخامس علم أسباب النزول

تعريف سبب النزول

سبب النزول: هو ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه أو مبينة لحكمه أيام وقوعه. والمعنى: أن حادثة وقعت، أو سؤالاً وجه إلى النبي -ﷺ-، فنزل الوحي بتبيان ما يتصل بهذه الحادثة، أو بجواب هذا السؤال، وذلك مثل حادثة (حولة بنت ثعلبة وأوس بن الصامت)، وسواء أكان هذا السؤال يتعلق بأمر مضى، مثل قوله تعالى في سورة الكهف: ((وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ)) ، أم يتصل بحاضر، مثل قوله تعالى في سورة الإسراء: ((وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ)) ، أم يتصل بمستقبل، وذلك مثل قوله تعالى في سورة الأعراف: ((يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ)). ينقسم القرآن الكريم من حيث سبب النزول وعدمه إلى قسمين:

- ١- ما نزل ابتداءً من غير سبق سبب نزول خاص، وهو كثير في القرآن الكريم، وذلك مثل الآيات التي اشتملت على الأحكام والآداب.
- ٢- ما نزل مرتبطاً بسبب من الأسباب الخاصة.

طريق معرفة سبب النزول

لا طريق لمعرفة سبب النزول إلا النقل الصحيح، ولا مجال للعقل فيه إلا بالتمحيص والترجيح، قال الواحدي في كتاب (أسباب النزول): (لا يحل القول في أسباب نزول القرآن إلا بالرواية والسماع، ممن شاهدوا التنزيل، ووقفوا على الأسباب، وبحثوا عن علمها، وجدوا في الطلب): أي: بالغوا في طلب العلم. إذاً: يكون السبيل الوحيد لمعرفة أسباب النزول هو النقل الصحيح عن الصحابة -رضي الله عنهم-، ومن أخذ عنهم من التابعين.

حكم قول الصحابي والتابعي في سبب النزول

قول الصحابي -رضي الله عنه- في سبب النزول له حكم المرفوع، كما نبه على ذلك الحاكم وابن الصلاح وغيرهما من أئمة علوم الحديث، لأنه قول فيما لا مجال للرأي فيه، ويبعد كل البعد أن يقول ذلك من تلقاء نفسه، فهو محمول على السماع أو المشاهدة.

وقول التابعي في سبب النزول له حكم المرفوع إلا أنه مرسل، فقد يقبل إذا: صح السند إليه، وكان من أئمة التفسير الآخذين عن الصحابة كمجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير، أو اعتضد بمرسل آخر.

فوائد معرفة سبب النزول

لمعرفة سبب النزول فوائد كثيرة من أهمها :

١- الاستعانة على فهم الآية، وإزالة الإشكال عنها، قال الواحدي: (لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها، وبيان نزولها)، وقال ابن تيمية: (معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب)، ولذلك أمثلة كثيرة منها:

قوله تعالى: ((وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ)).

فلو تركت الآية على ظاهرها لاقتضت أن المصلي لا يجب عليه استقبال القبلة، سافراً أو حضراً، وهو خلاف الإجماع، فلما عرف سبب نزولها علم أنها في نافلة السفر، أو نزلت في الرد على اليهود الذين سَفَّهوا على النبي -صلى الله عليه وسلم- والمسلمين بسبب تحويل القبلة إلى الكعبة، أو من صلى بالاجتهاد وبأن له الخطأ، على اختلاف الروايات في ذلك، فلولا معرفة السبب لبقيت الآية مشكلة.

٢- معرفة اسم من نزلت فيه الآية، وتعيين المبهم فيها، وفي ذلك اسناد الفضل لأهله، ونفي التهمة عن البريء الذي ألصق به ما هو براء منه، وذلك مثل ما روي عن السيدة عائشة -رضي الله عنها- أنها رَدَّت على مروان بن الحكم حينما اتهم أخاها عبدالرحمن بن أبي بكر بأنه الذي نزل فيه قوله تعالى: ((وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا))، وقالت: (والله ما هو به، ولو شئت أن أسميه لسميته). رواه البخاري.

ومثل ما إذا عرفنا سبب النزول في قوله تعالى: ((وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ))، عرفنا أنّ صاحب الفضل هو سيدنا صهيب الرومي -رضي الله عنه-.

٣- تثبيت الوحي، وتيسر الحفظ والفهم، وتأكيد الحكم في ذهن من يسمع الآية، إذا عرف سببها.

٤- تيسير الحذف وتسهيل الفهم وتثبيت الوحي في ذهن من عرف سبب النزول .

الأسئلة والأجوبة

س ١/ قال العلماء في تعريف سبب النزول: (هو ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه أو مبينة لحكمه أيام وقوعه)، ما معنى ذلك.

ج ١/ معنى ذلك: أن حادثة وقعت، أو سؤالاً وجه إلى النبي -صلى الله عليه وسلم-، فنزل الوحي بتبيان ما يتصل بهذه الحادثة، أو بجواب هذا السؤال، وذلك مثل حادثة (خولة بنت ثعلبة وأوس بن الصامت)، وسواء أكان هذا السؤال يتعلق بأمر مضى، مثل قوله تعالى في سورة الكهف: ((وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ)) ، أم يتصل بحاضر، مثل قوله تعالى في سورة الإسراء: ((وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ)) ، أم يتصل بمستقبل، وذلك مثل قوله تعالى في سورة الأعراف: ((يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ)).

س ٢/ ما الطريق لمعرفة سبب النزول.

ج ٢/ لا طريق لمعرفة سبب النزول إلا النقل الصحيح، ولا مجال للعقل فيه إلا بالتمحيص والترجيح، قال الواحدي في كتاب (أسباب النزول): (لا يحل القول في أسباب نزول القرآن إلا بالرواية والسماع، ممن شاهدوا التنزيل، ووقفوا على الأسباب، وبحثوا عن علمها، وجدوا في الطلب): أي: بالغوا في طلب العلم.

إذاً: يكون السبيل الوحيد لمعرفة أسباب النزول هو النقل الصحيح عن الصحابة -رضي الله عنهم-، ومن أخذ عنهم من التابعين.

س ٣/ متى يقبل قول التابعي في سبب النزول.

ج ٣/ قول التابعي في سبب النزول له حكم المرفوع إلا أنه مرسل، فقد يقبل إذا: صح السند إليه، وكان من أئمة التفسير الآخذين عن الصحابة كمجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير، أو اعتضد بمرسل آخر.

س ٤/ من فوائد معرفة سبب النزول (الاستعانة على فهم الآية)، مثل لذلك مع التوضيح.

ج ٤/ قوله تعالى: ((وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ)).

فلو تركت الآية على ظاهرها لاقتضت أن المصلي لا يجب عليه استقبال القبلة، سافراً أو حضراً، وهو خلاف الإجماع، فلما عرف سبب نزولها علم أنها في نافلة السفر، أو نزلت في الرد على اليهود الذين سفهوا على النبي -صلى الله عليه وسلم- والمسلمين بسبب تحويل القبلة إلى الكعبة، أو من صلى بالاجتهاد وبأن له الخطأ، على اختلاف الروايات في ذلك، فلولا معرفة السبب لبقيت الآية مشكلة.

س ٥/ من فوائد معرفة سبب النزول (معرفة اسم من نزلت فيه الآية)، وضح ذلك مع ذكر المثال.

ج ٥/ معرفة اسم من نزلت فيه الآية، وتعيين المبهم فيها، وفي ذلك اسناد الفضل لأهله، ونفي التهمة عن البريء الذي ألصق به ما هو براء منه، وذلك مثل ما روي عن السيدة عائشة -رضي الله عنها- أنها ردت على مروان بن الحكم حينما اتهم أخاها عبدالرحمن بن أبي بكر بأنه الذي نزل فيه قوله تعالى: ((وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا))، وقالت: (والله ما هو به، ولو شئت أن أسميه لسميته). رواه البخاري.

ومثل ما إذا عرفنا سبب النزول في قوله تعالى: ((وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ))، عرفنا أن صاحب الفضل هو سيدنا صهيب الرومي -رضي الله عنه-.

الفصل الثاني

الدرس السادس جمع القرآن الكريم

لجمع القرآن الكريم معنيان:

أحدهما: الحفظ يطلق جمع القرآن الكريم ويراد منه حفظه عن ظهر قلب، وجاء بهذا المعنى في قوله تعالى: - ((إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ))، ومنه يقال لحفاظ القرآن الكريم، جماعه.

وثانيهما: ويطلق مرة أخرى ويراد منه كتابته كله وتسجيله حروفاً وكلمات وآيات وسوراً، وقد كتب القرآن الكريم في الصدر الأول ثلاث مرات:

الأولى في عهد النبي - صلى الله عليه وسلم -، والثانية في خلافة أبي بكر - رضي الله عنه -، والثالثة على عهد عثمان - رضي الله عنه -، وفي المرة الأخيرة نُسخت المصاحف وأرسلت إلى الأمصار الإسلامية. وستحدث أولاً عن جمع القرآن الكريم بمعنى حفظه واستظهاره، ثم عن جمعه بمعنى كتابته وكله مفرق الآيات والسور.

١ - حفظ القرآن الكريم واستظهاره:

كان النبي - ﷺ - عند نزول شيء من القرآن عليه، يحفظه ويقرأه لمن عنده من الصحابة - رضي الله عنهم - و يستحفظهم إياه، وقد بلغ من حرص النبي - ﷺ - على حفظ القرآن الكريم واستظهاره، إنه كان يحرك لسانه به أثناء نزوله عليه استعجالاً لحفظه، مخافة أن تفوته كلمة أو يفلت منه حرف، وما زال كذلك حتى طمأنه ربه بأن وعده أن يجمعه له في صدره، وأن يسهل له قراءة لفظه وفهم معناه، قال تعالى: ((لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۗ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ۗ فَإِذَا قَرَأَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ۗ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيِّنَاتَهُ ۗ)) وقال تعالى: ((وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ)).

ولقد جمع النبي - ﷺ - القرآن الكريم كله في قلبه الشريف فكان أول الحفاظ، ومعلمهم ومرجع المسلمين في كل ما يعينهم من أمر القرآن الكريم، وكان يقرئ الناس القرآن الكريم على مكث.

قال عطاء بن السائب: (أخبرني أبو عبد الرحمن، قال: حدثني الذين يقرئوننا - عثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود، وأبي بن كعب رضي الله عنهم - أن رسول الله - ﷺ - كان يقرئهم العشر - آيات - فلا يجاوزونها إلى عشر أخرى حتى يتعلموا ما فيها من العمل، فتعلموا القرآن الكريم والعمل جميعاً.

وكان النبي - ﷺ - يعرض القرآن الكريم على جبريل - عليه السلام - في كل عام في رمضان مرة وفي العام الذي قبض فيه عرضه مرتين، قالت فاطمة وعائشة - رضي الله عنهما -: (سمعنا رسول الله - ﷺ - يقول: إن جبريل كان يعارضني القرآن في كل سنة مرة، وإنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلي).

وكان الصحابة الكرام - رضي الله عنهم - يهتمون بحفظ ما أنزل من القرآن الكريم، ويترددون على النبي - ﷺ -، ويتلونه أمامه حتى يتثبتوا من حفظه كما أنزل، وبعد الحفظ والاتقان كان كل حافظ ينشر ما حفظه، ويعلمه لمن يصادفه من المسلمين ممن لم يشهدوا النزول، فلا يمضي يوم أو يومان إلا وما نزل محفوظ في صدور كثيرين من الصحابة

-رضي الله عنهم- وكان النبي - ﷺ - يحنهم على ذلك بمثل قوله: ((تعاهدوا هذا القرآن...)) و((خيركم من تعلم القرآن وعلمه)) وكان يدفع كل داخل في الاسلام الى أحد الحفاظ ليقرئه القرآن الكريم و يفقهه في الدين، وبعد أن كثر المسلمون، وشاع الاسلام، أخذ النبي -صلى الله عليه وسلم- يوجه الحفاظ الى القبائل العربية حتى يعلموهم الإسلام، و يقرئوهم القرآن الكريم، وكان أول صحابي أوفد لهذه المهمة هو مصعب بن عمير -رضي الله عنه- حيث أرسله النبي -صلى الله عليه وسلم- الى المدينة بعيد بيعة العقبة. وهكذا شاع حفظ القرآن الكريم بين الرعيل الأول، وشغفوا به شغفاً كبيراً.

٢- كتابة القرآن الكريم وتدوينه:

أشرنا -من قبل- إلى أن جمع القرآن الكريم بمعنى كتابته قد اتخذ ثلاثة أشكال في ثلاثة عهود في الصدر الاول: (عهد النبي - ﷺ -، وعهد أبي بكر -رضي الله عنه-، وعهد عثمان -رضي الله عنه-) و سنتحدث -بإيجاز- عن كتابة القرآن الكريم في كل عهد من تلكم العهود.

كتابة القرآن الكريم في عهد النبي (ﷺ)

مع أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يكن يعرف القراءة والكتابة بدلالة قوله تعالى: ((وَمَا كُنْتُمْ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكُمْ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ)).

ومع أن الكتابة في حواضر الحجاز -زمن البعثة- لم تكن واسعة الانتشار و كانت وسائلها بدائية و غير ميسورة. ومع أن طريقة التلقي المثلثي بين العرب عامة كانت المشافهة والحفظ فإن النبي الكريم - ﷺ - كان حريصاً على تدوين وكتابة ما ينزل عليه من القرآن الكريم واتخذ للوحي كتاباً بلغ عددهم اثنين وأربعين، أشهرهم: الخلفاء الأربعة ومعاوية وأبان بن سعيد وخالد بن وليد وأبي بن كعب وزيد بن ثابت وثابت بن قيس وكان ألزمهم للنبي - ﷺ - وأكثرهم كتابة زيد بن ثابت وعلي بن أبي طالب -رضي الله عنهم-.

وكان الكتبة يكتبون ما يمليه عليهم النبي - ﷺ - من القرآن الكريم فيما هو متيسر آنذاك من أدوات الكتابة كالعسب واللخاف والرقاع والأكتاف والأقتاب وقطع الأديم والحزير، وكانوا يطلقون على هذه الأشياء بعد الكتابة عليها (الصحف) وكانت توضع في بيت النبي - ﷺ - وكان النبي - ﷺ - يبيّن للكتبة موضع الآيات في السور.

ومن هنا يتبين لنا أن السبب الباعث على كتابة القرآن الكريم في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- هو:
١ - معاضدة المكتوب للمحفوظ لتتوفر للقرآن الكريم كل عوامل الحفظ والبقاء، ولذا كان المعول عليه عند جمع الحفظ والكتابة.

٢ - تبليغ الوحي على الوجه الأكمل، لأن الاعتماد على حفظ الصحابة -رضي الله عنهم- فحسب غير كاف، لأنهم عرضة للنسيان أو الموت، أما الكتابة فباقية لا تزول.

وهكذا انقضت العهد النبوي والقرآن الكريم مكتوب على هذا النمط، دون أن يجمع في مصحف واحد مرتب السور بل ظل متفرقاً في الرقاع، وإنما لم يجمع القرآن الكريم في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- في مصحف واحد مرتب السور لأسباب عدة منها:

١ - إن القرآن الكريم لم ينزل مرة واحدة وإنما نزل مفرقاً على مدى ثلاث وعشرين سنة تقريباً.

٢ - إن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان بصدد أن ينزل عليه الوحي بجديد، أو بنسخ ما شاء الله تعالى من آية أو آيات.

٣ - إن ترتيب آياته وسوره ليس على ترتيب نزوله، فلو جمع في مصحف لكان عرضة للتغيير كلما وقع نسخ، أو حدث سبب وهذا متعذر في تلك الظروف لعدم تيسر وسائل الكتابة.

وقبل أن نغادر هذا الموضوع يجدر أن نشير إلى أن المهم في الأمر هو أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يمت الا والقرآن الكريم مكتوب كله في السطور محفوظ كله في الصدور وصدق الله العظيم إذ يقول: ((إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)).

كتابة القرآن الكريم في عهد أبي بكر - رضي الله عنه -

أدركنا أن القرآن الكريم كان مكتوباً كله محفوظاً كله على عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- بوعد من الله تعالى ورعايته ثم بفضل حرص النبي -صلى الله عليه وسلم- وصحابته -رضي الله عنهم- وأدركنا لماذا لم يكن مجموعاً في مصحف واحد مرتب السور في ذلك العهد.

وبعد وفاة النبي -صلى الله عليه وسلم- قام بالأمر بعده أبو بكر -رضي الله عنه- وحدث في عهده ما نبه المسلمين الى ضرورة جمع القرآن الكريم في مصحف واحد ضماناً له من الضياع، حيث أرتد بعض العرب عن الإسلام وظهر مسيلمة الكذاب لعنه الله تعالى وأصحابه يدعون النبوة، فتصدى أبو بكر -رضي الله عنه- لقتال هؤلاء جميعاً وقتل من الصحابة -رضي الله عنهم- وقتند ممن حفظوا القرآن الكريم جمع كبير، فأثار ذلك الخوف على القرآن واتفق رأيهم على جمعه.

يروى البخارى في صحيحه قصة هذا الجمع فيقول: (... عن زيد بن ثابت -رضي الله عنه- قال أرسل إلي أبو بكر -رضي الله عنه- - مقتل أهل اليمامة فإذا عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- عنده قال أبو بكر -رضي الله عنه-: إن عمر اتاني فقال: إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقرء القرآن، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقرء في المواطن، فيذهب كثير من القرآن وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن.

قلت لعمر: كيف نفع شياً لم يفعله رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال عمر: هذا والله خير.

فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك ورأيت في ذلك رأي عمر.

قال زيد -رضي الله عنه-: قال أبوبكر -رضي الله عنه- أنك رجل شاب عاقل لا نتهمك وكنت تكتب الوحي لرسول الله -ﷺ- فتتبع القرآن وأجمعه قال زيد -رضي الله عنه-: فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان بأثقل علي مما أمروني به من جمع القرآن.

قلت: كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله -ﷺ-، فقال: هو والله خير.

فلم يزل أبوبكر -رضي الله عنه- يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر، فتتبع القرآن أجمعه من العسب واللخاف و صدور الرجال حتى وجدت آخر التوبة: ((لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ)) مع أبي خزيمة الأنصاري الذي جعل النبي -ﷺ- شهادته بشهادة رجلين لم أجدها مع أحد غيره فألحقتها في سورتها.

فكانت الصحف عندي أبي بكر -رضي الله عنه- حتى توفاه الله تعالى ثم عند عمر -رضي الله عنه- في حياته ثم عند حفصة بنت عمر -رضي الله عنها وعن أبيها-.

تكليف زيد -رضي الله عنه-

أن اختيار زيد بن ثابت -رضي الله عنه- لهذه المهمة الخطيرة، وتكليفه هذا العمل الجليل يرجع إلى ما كان يتمتع به زيد -رضي الله عنه- من مؤهلات أهمها:

- ١- أنه ممن حفظ القرآن الكريم كله عن ظهر قلب على عهد النبي -ﷺ-
- ٢- أنه من أبرز كتاب الوحي ومن أكثرهم ملازمة للنبي -ﷺ-
- ٣- أنه ممن شهد عرضة القرآن الكريم الأخيرة بين يدي النبي -ﷺ- التي بين فيها ما نسخ وما بقي وقرأها عليه وكان يؤم الناس بها حتى مات.
- ٤- تميزه بالأمانة، ورجاحة العقل، وقوة الاحتمال.
- ٥- اهتمامه الكامل بالمسؤولية وتقديره العظيم ما أنيط به من عمل.
- ٦- قدرته على سلوك أدق طرق البحث العلمي، والتحري في الجمع.

معاونو زيد

من البديهي أن عملية جمع القرآن الكريم لم يقم بها زيد بن ثابت -رضي الله عنه- وحده، وإنما عاونه فيها جماعة من خيرة حفظة القرآن الكريم، وكتاب الوحي، منهم عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- كما ورد في رواية ابن أبي داود، من طريق هشام بن عروة عن أبيه: أن أبا بكر قال لعمر ولزيد: (أقعدا على باب المسجد، فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه).

ومنهم أبي بن كعب -رضي الله عنه- لما ورد عن أبي العالية: (أنهم جمعوا القرآن في مصحف في خلافة أبي بكر، فكان رجال يكتبون، و يملي عليهم أبي بن كعب).

منهج زيد في جمع القرآن الكريم

فقد أتبع في هذا الجمع منهجا دقيقا حريصا أعان على وقاية القرآن الكريم من كل ما لحق النصوص الأخرى من مظنة

- الوضع والانتحال، وعوامل النسيان والضياع.
- ١- كان كل من تلقى من رسول الله - ﷺ - شيئاً من القرآن الكريم يأتي به.
 - ٢- وكانوا يكتبون ذلك في الصحف والألواح والعسب.
 - ٣- وكان لا يكتب إلا:
 - أ- من عين ما كتب بين يدي النبي - ﷺ - لا من مجرد الحفظ.
 - ب- وما ثبت أنه عرض على النبي - ﷺ -، عام وفاته دون ما كان مأذوناً فيه قبلها.
 - ج- وما ثبت أنه من الوجوه التي نزل بها القرآن الكريم.
 - ٤- وكانت كتابة الآيات والسور على الترتيب و الضبط اللذين تلقاهما المسلمون عن رسول الله - ﷺ - .
 - ٥- وكان لا يقبل من أحد شيئاً حتى يشهد شهيدان، أي أنه لم يكن يكتفي بمجرد وجدان الشيء مكتوباً حتى يشهد به من تلقاه سماعاً.
 - ٦- وكان عمر وزيد -رضي الله عنهما- يقعدان على باب المسجد، ليكتبا ما يشهد عليه الشاهدان، وهذه إحدى الروايات التي تؤيد ذلك المنهج السديد.

مزايا هذا الجمع

- امتازت هذه الجمعة للقرآن الكريم بعدة خصائص ومميزات، أهمها:
- ١- أن منهج الجميع كان من أدق مناهج البحث و التحري العلمي.
 - ٢- أنه اقتصر فيها على ما لم تنسخ تلاوته.
 - ٣- أن الآيات والسور كتبت على الترتيب الذي تلقاه الصحابة -رضي الله عنهم- عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كما هو عليه الان.
 - ٤- أنه لم يقبل فيه إلا ما أجمع الجميع على أنه قرآن وتواترت روايته.
 - ٥- أنه كان مكتوباً بجميع الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن الكريم.

كتابة القرآن الكريم في عهد عثمان -رضي الله عنه-

لما كان عهد عثمان -رضي الله عنه-، وتفرق الصحابة -رضي الله عنهم- في البلدان وحمل كل منهم من القراءات ما سمعه من رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وقد يكون عند أحدهم من القراءات ما ليس عند غيره، اختلف الناس في القراءات، وصار كل قارئ ينتصر لقراءته، ويخطئ قراءة غيره وعظم الأمر، واشتد الخلاف، فأفزع ذلك عثمان -رضي الله عنه-، وخشي عواقب هذا الاختلاف السيئة في التقليل من الثقة بالقرآن الكريم وقراءاته الثابتة، وهو أساس عروة المسلمين، ورمز وحدتهم الكبرى. أخرج ابن أبي داود في كتاب المصاحف من طريق أبي قلابة قال: لما كان عهد عثمان جعل المعلم يعلم قراءة الرجل، والمعلم يعلم قراءة الرجل، فجعل الغلمان يلتقون فيختلفون، حتى ارتفع ذلك إلى المعلمين حتى كفر بعضهم بعضاً، فبلغ ذلك عثمان فقال: أنتم عندي تختلفون فمن نأى عني من الأمصار أشد اختلافًا!! وقد تحقق ظنه لما جاء حذيفة بن اليمان وأخبره بما وقع بين أهل الشام والعراق من الاختلاف في القراءة في غزوة أرمينية فهاله الأمر، وتشاور هو والصحابة فيما ينبغي، فرأى ورأوا معه أن يجمع الناس على مصحف واحد، لا يتأتى فيه اختلاف، ولا تنازع.

تنفيذ الجمع

١- شكل عثمان -رضي الله عنه- لجنة لتنفيذ عملية الجمع الجديدة في مطلع سنة ٢٥ من الهجرة من أربعة من حفظة القرآن الكريم، هم: زيد بن ثابت وعبدالله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام -رضي الله عنهم-، والاول مدني من الانصار والثلاثة الأعضاء الباقون مكيون من قريش.

٢- أرسل عثمان -رضي الله عنه- الى أم المؤمنين حفصة -رضي الله عنها وعن أبيها- طالباً الصحف التي عندها وهي عينها الصحف التي جمعت في عهد أبي بكر -رضي الله عنه- فأرسلتها وشرعت اللجنة في نسخها.

جاء في صحيح البخاري: (فأرسل عثمان الى حفصة أن أرسلى إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف، ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة الى عثمان، فأمر زيد بن ثابت وعبدالله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف...).

منهج الجمع

سارت اللجنة في عملها على قواعد ثابتة، ومنهج محدد، يتلخص في:

١- اعتماد الصحف التي تم جمعها في عهد أبي بكر -رضي الله عنه- بإشراف زيد بن ثابت -رضي الله عنه- أساساً لنسخ المصاحف.

٢- اعتماد لهجة قريش أساساً للنسخ عند اختلاف أعضاء اللجنة في كتابة شيء من القرآن الكريم. جاء في صحيح البخاري: (وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم)

وقد اختلفوا يومئذ في كيفية كتابة (التابوت)، فقال زيد -رضي الله عنه- تكتب بالهاء (التابوه)، وقال ابن الزبير وسعيد -

رضي الله عنهما- تكتب بالثناء (التابوت) فرفع اختلافهم الى عثمان -رضي الله عنه- فقال اكتبوه بالثناء، فإنه بلسان قريش، وسألت اللجنة عثمان -رضي الله عنه- عن رسم كلمة (لم يتسن)، وكلمة (فأمهل) فاستشار عثمان -رضي الله عنه- أبي بن كعب -رضي الله عنه- فقال: (لم يتسنه) و(فمهل).

٣- اعتماد القراءة المتواترة عن النبي -ﷺ- أساساً للكتابة وترك ماسواها من وجوه القراءات المختلف فيها. وما كانت روايته آحاداً وكانوا إذا اختلفوا في أي آية، قالوا: هذه أقرأها رسول الله -ﷺ- فلاناً، فيرسل إليه وهو على رأس ثلاث من المدينة، فيقال له: كيف أقرأك رسول الله -ﷺ- صلى الله عليه وسلم- آية كذا وكذا، فيقول: كذا وكذا، فيكتبوها، وقد تركوا لذلك مكاناً، وقد مثل الزرقاني لما تركوه بقوله: (وتركوا ما سوى ذلك. نحو قراءة: ((فامضوا الى ذكر الله)) بدل فاسعوا))، ونحو: ((وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصباً)) بزيادة كلمة ((صالحة)).

٤- عند كتابة لفظ تواتر -عن النبي -ﷺ- قراءته على أكثر من وجه، تبقي اللجنة هذا اللفظ خالياً من أية علامة تقصر القراءة به على وجه واحد، لتكون دلالة اللفظ الواحد على كل اللفظين المنقولين المسموعين المتلووين شبيهةً بدلالة اللفظ الواحد على كلا المعنيين المنقولين.

من ذلك :-

أ- (فتبينوا) التي رويت أيضاً (فتثبتوا).

ب- (ننشزها) التي رويت (ننشرها).

ج- (هيت لك) التي قرئت بسبع قراءات، مع بقاء رسمها كما هو.

د- (آف) التي قرئت بثلاث قراءات دون تغيير في رسمها.

٥- يلتزم في ترتيب آيات كل سورة على حسب ترتيب النبي -ﷺ- في العرصة الأخيرة، في السنة التي توفي فيها. وقد التزم بذلك في الصحف التي جمعت في عهد أبي بكر -رضي الله عنه-، وكذلك يلتزم في ترتيب السور على ما كان في عهد النبي -ﷺ-، على خلاف صحف أبي بكر فقد كانت غير مرتبة السور. ويظهر من بعض الروايات أن صحف أبي بكر كانت مرتبة السور أيضاً، وأن عثمان -رضي الله عنه- لم يصنع شيئاً فيما جمعه أبوبكر -رضي الله عنه- من زيادة أو نقص أو تغيير أو ترتيب، سوى أنه جمع الناس على القراءة بلغة واحدة.

٦- بعد الفراغ من كتابة المصحف الإمام (النسخة الأولى) وقبل نسخ بقية المصاحف يراجعه زيد بن ثابت -رضي الله عنه- ثلاث مرات، ويقابله بصحف أبي بكر -رضي الله عنه- ثم يراجعه عثمان -رضي الله عنه- بنفسه، زيادة في الاحتياط، وأماناً من الخطأ والنسيان.

عدد المصاحف

اختلفت الروايات في عدد المصاحف التي نسختها اللجنة، وأرسل بها عثمان -رضي الله عنه- إلى الأقاليم الإسلامية. فأفادت إحدى الروايات إنها كانت أربعة مصاحف، وإن عثمان -رضي الله عنه- بعث إلى كل ناحية واحداً -الكوفة، والبصرة، والشام-، وترك واحداً عنده وهو ما سمي (بالمصحف الإمام). وأفادت رواية أخرى، أنها كانت خمسة مصاحف وهي: الكوفي، والبصري، والشامي، والمدني العام، والمدني الخاص (المصحف الإمام).

وأفادت رواية ثالثة أنها كانت ستة مصاحف وهي: ما سبق مع زيادة (المكي)، وهو الأقرب إلى الصواب، لأن عثمان -رضي الله عنه- أرسل مع المصحف الخاص بكل إقليم حافظاً، فكان زيد بن ثابت -رضي الله عنه- مقرئ المصحف المدني، وعبدالله بن السائب -رضي الله عنه- مقرئ المكي، والمغيرة بن شهاب -رضي الله عنه- مقرئ الشامي، وأبو عبد الرحمن السلمي -رضي الله عنه- مقرئ الكوفي، وعامر بن عبد القيس -رضي الله عنه- مقرئ البصري، فهؤلاء خمسة مقرئين لخمسة مصاحف فإذا أضفنا إليها (المصحف الإمام) الذي احتفظ به عثمان -رضي الله عنه- لنفسه صار المجموع ستة مصاحف.

ورواية رابعة تفيد إنها سبعة مصاحف، وأن عثمان -رضي الله عنه- أرسل ستة منها إلى الآفاق، واحتفظ لنفسه بواحد منها.

ورواية خامسة أفادت أنها ثمانية مصاحف، وزادت في الأقاليم، اليمن والبحرين. وعلى كل حال فإن الاختلاف في عدد المصاحف لا يتعين به كبير غرض ولا يقع من ورائه اختلاف مؤثر.

موقف الأمة من مصاحف عثمان

تلقت الأمة مصاحف عثمان -رضي الله عنه- بالقبول، وأجمع المسلمون على ما تضمنته، وأقبلوا على قراءتها، والتقيد بها، وترك كل قراءة تخالفها، أو لا يحتملها رسمها، وكان فضل هذه الجمعة على الأمة عظيماً حيث حافظت على وحدتها، وعملت على تماسكها وتمسكها بكتابتها المجيد الذي ((لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ))، ورضي الله تعالى على الصحابة الكرام -رضي الله عنهم- الذين بذلوا أقصى ما يستطيعون من جهد في جمع القرآن الكريم محفوظاً في الصدور، مكتوباً في السطور، حتى جاء على أتم صورة يمكن أن يكون عليها كتاب، مصداقاً لقوله تعالى: ((إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)).

حرق المصاحف

بعد أن أتمت اللجنة نسخ المصاحف، وأرسل بها عثمان الى الأقطار الإسلامية طرح فكرة التخلص من المصاحف الفردية، وذلك ليقطع النزاع، وليحمل الأمة على الجادة في كتاب الله تعالى، فأيدوا فكرته، فأمر بحرق كل ما وجد من صحف أو مصاحف شخصية.

روى أبو بكر الأنباري عن سويد بن غفلة قال: (سمعت علي بن أبي طالب -كرم الله وجهه- ((لا تقولوا في عثمان إلا خيراً، فوالله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا على ملامنا)).
وقال: ((لو وليت ما ولي عثمان لعملت بالمصاحف ما عمل)).

مقارنة

عند المقارنة بين جمع القرآن الكريم في عهوده الثلاثة -عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- وعهد أبي بكر -رضي الله عنه-، وعهد عثمان -رضي الله عنه- نلاحظ:

١- أن الجمع في عهد النبي -ﷺ- كان عبارةً عن كتابة الآيات وترتيبها ووضعها في مكانها الخاص من سورها، ولكن مع بقائها متفرقة بين عسب و عظام، وحجارة ورقاع، وكان الهدف من هذه الجمعة: التوثيق بالكتابة والتسجيل، فضلاً عن الحفظ والمشاهدة.

٢- أما الجمع في عهد أبي بكر -رضي الله عنه-، فقد كان عبارة عن نقل القرآن الكريم وكتابته في مصحف واحد، بهدف تسجيل القرآن الكريم وكتابته مجموعاً مرتباً، خشية فقدان شيء منه. بتلف بعض الرقاع التي سجل عليها -في العهد النبوي- أو ضياعها، أو بموت حفاظه.

٣- وأما الجمع في عهد عثمان -رضي الله عنه-، فقد كان عبارة عن استنساخ جملة مصاحف وتعميمها على المسلمين، بهدف جمع الأمة على لغة واحدة (لهجة قريش) حفاظاً على وحدتها، وتوحيد كلمتها.

ويمكننا وصف الجمع الثلاث والمقارنة بينها بعبارة موجزة ومعاصرة بالآتي:

إن جمعة النبي -ﷺ- كانت (تأليفاً) = تسجيل الموحى به من الله تعالى. وجمعة أبي بكر -رضي الله عنه- كانت (تنقيحاً) = مراجعة مسودة المؤلف على المسجلات الصوتية (الحفاظ) وإعدادها للطبع. وجمعة عثمان -رضي الله عنه- كانت (طبعاً ونشراً وتوزيعاً).

الأسئلة والأجوبة

س ١/ ما معنى جمع القرآن الكريم.

ج ١/ لجمع القرآن الكريم معنيان:

أحدهما: يطلق جمع القرآن الكريم ويراد منه حفظه عن ظهر قلب، وجاء بهذا المعنى في قوله تعالى: - ((إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ))، ومنه يقال لحفاظ القرآن الكريم، جماعه.

وثانيهما: ويطلق مرة أخرى ويراد منه كتابته وتسجيله حروفاً وكلمات وآيات وسوراً.

س ٢/ ما السبب الباعث على كتابة القرآن الكريم في عهد النبي - ﷺ - .

ج ٢/ السبب الباعث على كتابة القرآن الكريم في عهد النبي - ﷺ - هو:

١- معاضدة المكتوب للمحفوظ لتتوفر للقرآن الكريم كل عوامل الحفظ والبقاء، ولذا كان المعول عليه عند الجمع و الحفظ والكتابة.

٢ - تبليغ الوحي على الوجه الأكمل، لأن الاعتماد على حفظ الصحابة -رضي الله عنهم- فحسب غير كاف، لأنهم عرضة للنسيان أو الموت، أما الكتابة فباقية لا تزول.

س ٣/ لماذا لم يجمع القرآن الكريم في عهد النبي - ﷺ - في مصحف واحد مرتب السور.

ج ٣/ لم يجمع القرآن الكريم في عهد النبي - ﷺ - في مصحف واحد مرتب السور لأسباب عدة منها:

١- إن القرآن الكريم لم ينزل مرة واحدة وإنما نزل مفرقاً على مدى ثلاث وعشرين سنة تقريباً.

٢- إن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان بصدد أن ينزل عليه الوحي بجديد، أو بنسخ ما شاء الله تعالى من آية أو آيات.

٣- إن ترتيب آياته وسوره ليس على ترتيب نزوله، فلو جمع في مصحف لكان عرضة للتغيير كلما وقع نسخ، أو حدث سبب وهذا متعذر في تلك الظروف لعدم تيسر وسائل الكتابة.

س ٤/ كيف كان منهج جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر -رضي الله عنه-

ج ٤/ فقد أتبع في هذا الجمع منهج دقيق حريص أعان على وقاية القرآن الكريم من كل ما لحق النصوص الأخرى من مظنة الوضع والانتحال، وعوامل النسيان والضياع.

١- كان كل من تلقى من رسول الله - ﷺ - شيئاً من القرآن الكريم يأتي به.

٢- وكانوا يكتبون ذلك في الصحف والألواح والعسب.

٣- وكان لا يكتب إلا:

أ- من عين ما كتب بين يدي النبي - ﷺ - لا من مجرد الحفظ.

ب- وما ثبت أنه عرض على النبي - ﷺ - ، عام وفاته دون ما كان مأذوناً فيه قبلها.

ج- وما ثبت أنه من الوجوه التي نزل بها القرآن الكريم.

٤- وكانت كتابة الآيات والصور على الترتيب و الضبط اللذين تلقاهما المسلمون عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -.

٥- وكان لا يقبل من أحد شيء حتى يشهد شهيدان، أي أنه لم يكن يكتفى بمجرد وجدان الشيء مكتوباً حتى يشهد به من تلقاه سماعاً.

٦- وكان عمر وزيد -رضي الله عنهما- يقعدان على باب المسجد، ليكتبا ما يشهد عليه الشاهدان، وهذه إحدى الروايات التي تؤيد ذلك المنهج السديد.

س٥/ بم امتاز جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر -رضي الله عنه-.

ج٥/ امتازت هذه الجمعة للقرآن الكريم بعدة خصائص ومميزات، أهمها:

١- أن منهج الجميع كان من أدق مناهج البحث و التحري العلمي.

٢- أنه اقتصر فيها على ما لم تنسخ تلاوته.

٣- أن الآيات والصور كتبت على الترتيب الذي تلقاه الصحابة -رضي الله عنهم- عن رسول الله - ﷺ - كما هو عليه الآن.

٤- أنه لم يقبل فيه إلا ما أجمع الجميع على أنه قرآن وتواترت روايته.

٥- أنه كان مكتوباً بجميع الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن الكريم.

س٦/ كيف كان منهج جمع القرآن في عهد عثمان -رضي الله عنه-

ج٦/ سارت اللجنة في عملها على قواعد ثابتة، ومنهج محدد، يتلخص في:

١- اعتماد الصحف التي تم جمعها في عهد أبي بكر -رضي الله عنه- بإشراف زيد بن ثابت -رضي الله عنه- أساساً لنسخ المصاحف.

٢- اعتماد لهجة قريش أساساً للنسخ عند اختلاف أعضاء اللجنة في كتابة شيء من القرآن الكريم. جاء في صحيح البخاري: (وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم)

وقد اختلفوا يومئذ في كيفية كتابة (التابوت)، فقال زيد -رضي الله عنه- تكتب بالهاء (التابوه)، وقال ابن الزبير وسعيد -رضي الله عنهما- تكتب بالباء (التابوت) فرفع اختلافهم الى عثمان -رضي الله عنه- فقال اكتبوه بالباء، فإنه بلسان قريش، وسألت اللجنة عثمان -رضي الله عنه- عن رسم كلمة (لم يتسن)، وكلمة (فأمهل) فاستشار عثمان -رضي الله عنه- أبي بن كعب -رضي الله عنه- فقال: (لم يتسنه) و(فمهل).

٣- اعتماد القراءة المتواترة عن النبي - ﷺ - أساساً للكتابة وترك ماسواها من وجوه القراءات المختلف فيها. وما كانت روايته أحاداً وكانوا إذا اختلفوا في أي آية، قالوا: هذه أقرأها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلاناً، فيرسل إليه

وهو على رأس ثلاث من المدينة، فيقال له: كيف أقرأك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - آية كذا وكذا، فيقول: كذا وكذا، فيكتبوها، وقد تركوا لذلك مكاناً، وقد مثل الزرقاني لما تركوه بقوله: (وتركوا ما سوى ذلك. نحو قراءة: ((فامضوا الى ذكر الله)) بدل فاسعوا))، ونحو: ((وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصباً)) بزيادة كلمة ((صالحة)).

٤- عند كتابة لفظ تواتر - عن النبي - ﷺ - قراءته على أكثر من وجه، تبقى اللجنته هذا اللفظ خالياً من آية علامة تقصر القراءة به على وجه واحد، لتكون دلالة اللفظ الواحد على كل اللفظين المنقولين المسموعين المتلووين شبيهةً بدلالة اللفظ الواحد على كلا المعنيين المنقولين.

من ذلك :

أ- (فتبينوا) التي رويت أيضاً (فتثبتوا).

ب- (ننشزها) التي رويت (ننشرها).

ج- (هيت لك) التي قرئت بسبع قراءات، مع بقاء رسمها كما هو.

د- (آف) التي قرئت بثلاث قراءات دون تغيير في رسمها.

٥- يلتزم في ترتيب آيات كل سورة على حسب ترتيب النبي - صلى الله عليه وسلم - في العرصة الأخيرة، في السنة التي توفي فيها. وقد التزم بذلك في الصحف التي جمعت في عهد أبي بكر - رضي الله عنه -، وكذلك يلتزم في ترتيب السور على ما كان في عهد النبي - ﷺ - ، على خلاف صحف أبي بكر فقد كانت غير مرتبة السور. ويظهر من بعض الروايات أن صحف أبي بكر كانت مرتبة السور أيضاً، وأن عثمان - رضي الله عنه - لم يصنع شيئاً فيما جمعه أبو بكر - رضي الله عنه - من زيادة أو نقص أو تغيير أو ترتيب، سوى أنه جمع الناس على القراءة بلغة واحدة.

٦- بعد الفراغ من كتابة المصحف الإمام (النسخة الأولى) وقبل نسخ بقية المصاحف يراجعه زيد بن ثابت - رضي الله عنه - ثلاث مرات، ويقابله بصحف أبي بكر - رضي الله عنه - ثم يراجعه عثمان - رضي الله عنه - بنفسه، زيادة في الاحتياط، وأماناً من الخطأ والنسيان.

الدرس السابع

أول ما نزل من القرآن الكريم وآخر ما نزل منه

هذا الموضوع.. المدار فيه على النقل عن الصحابة -رضي الله عنهم- والتابعين، ولا مجال للعقل فيه إلا بالترجيح بين الأدلة، أو الجمع بين ما ظاهره التعارض منها، ويترتب على العلم بأول ما نزل، وآخر ما نزل فوائدها منها:

١ - معرفة الناسخ والمنسوخ:

فيما إذا وردت آيتان أو أكثر في موضوع واحد، وحكم إحداها يغيّر الأخرى تغيّراً لا يمكن معه الجمع، فنعرف أن المتأخر منها ناسخ للمتقدم.

٢ - معرفة تاريخ التشريع الإسلامي:

وذلك مثل ما إذا عرفنا أن الآيات التي نزلت في فرضية الصلاة بمكة، قبل الهجرة، وأن الآيات التي نزلت في فرض الزكاة والصوم كانت في السنة الثانية بعد الهجرة.. وأن الآيات التي نزلت في فرض الحج كانت في السنة السادسة، على ما هو الراجح، أمكننا أن نرتبها ترتيباً تشريعياً، فنقول: إن أول ما فرض الصلاة، ثم الصوم ثم الزكاة، ثم الحج.

٣ - معرفة التدرج في التشريع:

فتوصل إلى حكمة الله تعالى العالية في أخذ الشعوب بهذه السياسة الحكيمة في الإسلام، وذلك مثل ما إذا عرفنا ترتيب الآيات التي نزلت في شأن تحريم الخمر، وقد ذكرنا ذلك آنفاً، ومثل ما إذا عرفنا أن الآيات الداعية إلى أصول العقائد نزلت أولاً، وأن الآيات التي نزلت في التشريعات التفصيلية، والأحكام العملية نزلت بعدها، أدركنا أسرار الله في التربية والتشريع، فما لم تعرف الأصول، وتطمئن إليها القلوب، لا يسهل الأخذ بالفروع.

الأولية والأخروية إما مطلقة وإما مقيدة:

ثم إن أولية النزول وأخرويته تارة تكون على الإطلاق أي بالنسبة للقرآن كله، وتارة تكون مقيدة، إما بالنسبة لموضوع معين، وذلك مثل أول ما نزل في الخمر، وآخر ما نزل فيه، وإما بالنسبة لمكان خاص مثل أول ما نزل بمكة، وآخر ما نزل بها، وأول ما نزل بالمدينة وآخر ما نزل بها، وإما بالنسبة لسورة ما، مثل أول ما نزل من سورة كذا وآخر ما نزل منها. وفي هذا المبحث نتحدث عن أول ما نزل وآخر ما نزل على الإطلاق فقط، ولا نتطرق إلى أول ما نزل وآخر ما نزل مقيداً.

أول ما نزل من القرآن الكريم

اختلف العلماء في هذا على أقوال أربعة:

القول الأول:

إن أول ما نزل هو قوله تعالى: ((اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝)) (العلق: ١ - ٥)، ويدل على ذلك ما يأتي:
أ- روى البخاري ومسلم -واللفظ للبخاري- بسندهما عن عائشة أم المؤمنين -رضي الله عنها- أنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله - ﷺ - من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حُبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء، فيتحنث فيه -وهو التعبّد- الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة، فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق، وهو في غار حراء، فجاءه الملك، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: ((اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝))، (العلق: ١ - ٥) فرجع بها إلى خديجة يرتحف فؤاده، فقال: زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة -وأخبرها الخبر- لقد خشيت على نفسي، فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم وتقري الضيف ... الحديث.

وعائشة رضي الله عنها- وإن لم تعين القصة وتشاهدها، إلا أنه يحتمل أن تكون سمعتها من النبي -صلى الله عليه وسلم- بعد، أو حدثها بها صحابي سمعها من النبي - ﷺ - ، وأيا كان الأمر فهو حديث متصل مرفوع، ولذلك أجمعوا على أن مراسيل الصحابة حجة.

ب- وروى الحاكم في (مستدرکه) والبيهقي في (دلائل النبوة) وصحاحه عن عائشة - رضي الله عنها- أنها قالت: أول سورة نزلت من القرآن اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ومرادها بالسورة صدرها، وإلا فباقيها نزل بعد، كما تدل على ذلك رواية الصحيحين.

القول الثاني:

إن أول ما نزل اطلاقا هو قوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنْذِرْ ۝ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝))، (المدثر: ١ - ٥) وهذا القول مروى عن جابر بن عبد الله وأبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف -رضي الله عنهما-، ويدل لهذا ما رواه الشيخان -واللفظ للبخاري- عن يحيى بن أبي كثير قال: سألت أبا سلمة عبد الرحمن: أي القرآن أنزل أول فقال: يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝ فقلت: أنبت أنه اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ وفي رواية يقولون: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ . فقال أبو سلمة: سألت جابر بن عبد الله: أي القرآن أنزل أول فقال: يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝ فقلت: نبت أنه: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ . فقال: لا أخبرك إلا بما قال رسول الله - ﷺ - ، قال رسول الله:

اني جاورت بجراء ، فلما قضيت جوارى هبطت، فاستبطنت الوادي، فنوديت فنظرت أمامي، وخلفي، وعن يميني، وعن شمالي، ثم نظرت الى السماء فإذا هو جالس على عرش بين السماء والأرض، فاخذتني رجفة فأتيت خديجة، فقلت: دثروني وصبوا علي ماء بارداً، وأنزل علي ((يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ١) قُمْ فَأَنْذِرْ ٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ٥)).

وقد أجاب القائلون بالأول عن هذا بأجوبة أحسنها وأخلقها بالقبول:

١ - أن ((يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ١)) أول ما نزل بعد فترة الوحي، أما «اقرأ» فهي أول ما نزل على الإطلاق. ويؤيد هذا التأويل ويقويه ما رواه الشيخان أيضا من طريق الزهري -واللفظ للبخاري- عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- قال: سمعت النبي - ﷺ - وهو يحدث عن فترة الوحي، فقال في حديثه: بينا أنا أمشي إذ سمعت صوتا من السماء، فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بجراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فجئته منه رعبا، فقلت: زملوني، زملوني، فدثروني، فأنزل الله تعالى: يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ١) قُمْ فَأَنْذِرْ ٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ٥)) - قبل أن تفرض الصلاة- وهي الأوثان والمراد بالرجز الأوثان أو عبادتها.

فقوله: وهو يحدث عن فترة الوحي نص على أن ذلك كان بعد فترة الوحي، فهي أولية مقيدة لا مطلقة. وكذلك قوله - ﷺ -: ((فإذا الملك الذي جاءني بجراء ..)) يدل على أن هذه القصة متأخرة عن قصة حراء، التي نزل فيها: : اقرأ باسم ربك الذي خلق ١) .

٢ - أن أول سورة (المدثر) مقيد بما نزل متعلقا بالإنذار، ولذلك دعا النبي - ﷺ - بعدها إلى الله تعالى، بخلاف صدر سورة العلق، فهو مطلق غير مقيد بشيء خاص.

القول الثالث:

إن أول ما نزل سورة (الفاتحة) وقد نسب هذا القول للزمخشري في (كشافه) إلى أكثر المفسرين، ورد عليه الحافظ ابن حجر: بأن هذا القول لم يقل به إلا عدد أقل من القليل.

وقد استدل الداهيون إليه بما رواه البيهقي في (دلائل النبوة) والواحدي بسنده عن أبي ميسرة -عمرو بن شرحبيل- أن رسول الله - ﷺ - قال لخديجة: إني إذا خلوت وحدي سمعت نداء، فقد -والله- خشيت أن يكون هذا أمرا» فقالت: معاذ الله! ما كان الله ليفعل بك، فوالله: إنك لتؤدي الأمانة، وتصل الرحم وتصدق الحديث، فلما دخل أبو بكر ذكرت خديجة حديثه له، وقالت: اذهب مع محمد إلى (ورقةط) -يعني ابن نوفل- فانطلقا، فقصا عليه، فقال: إذا خلوت وحدي سمعت نداء من خلفي: يا محمد، يا محمد، يا محمد فأنتلق هاربا في الأفق!! فقال: لا تفعل إذا أتاك فائت حتى تسمع ما يقول، ثم اتيتني، فأخبرني.

فلما خلا ناداه: يا محمد قل: ((بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ١) الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ٥) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ٧)) ويجاب عن هذا القول: بأنه حديث مرسل، وإن كان رجاله ثقات فلا يعارض حديث عائشة المرفوع، فالراجح هو الأول.

القول الرابع:

إن أول ما نزل هو قوله تعالى: ((بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)) واستند القائل بهذا إلى ما أخرجه الواحدي بإسناده عن عكرمة والحسن، قال: أول ما نزل من القرآن بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وأول سورة أقرأ بِاسْمِ رَبِّكَ وأخرج ابن جرير، وغيره عن ابن عباس -رضي الله عنه- قال: أول ما نزل جبريل على النبي (ﷺ) قال: يا محمد، استعذ، ثم قال: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، وقد أجاب السيوطي عن هذا القول، فقال: وعندني أن هذا لا يعد قولاً برأسه، فإن من ضرورة نزول السورة نزول البسملة معها، فهي أول آية نزلت على الإطلاق.

وهذا الجواب غير مسلم فالأحاديث الصحيحة في بدء الوحي كحديث عائشة وغيره لم تذكر قط نزول البسملة مع صدرها، والظاهر أنها نزلت بعد. عند نزول تمام السورة.

وقد ذكر ابن عطية في مقدمة تفسيره -عند حكاية هذا القول- أن في بعض طرق حديث خديجة، وحملها رسول الله - (ﷺ) إلى ورقة بن نوفل أن جبريل قال للنبي (ﷺ) قل بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فقالها، فقال: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ، فإذا ثبت هذا يكون مؤيداً لما أجاب به السيوطي.

نعم هذه الآثار والأحاديث لا تنهض لمعارضة حديث عائشة المرفوع الذي اتفق عليه أصحابنا الصحيحين، فهو في أعلى درجات الصحة.

آخر ما نزل من القرآن الكريم

ليس في هذا الموضوع أحاديث مرفوعة إلى النبي - (ﷺ) - وإنما هي آثار مروية عن بعض الصحابة -رضي الله عنهم- ، والتابعين، استنتجوها مما شاهدوه من نزول الوحي، وملابسات الأحوال، وقد يسمع أحدهم ما لا يسمعه الآخر ويرى ما لا يرى الآخر، فمن ثم كثر الاختلاف بين السلف والعلماء، في آخر ما نزل وتعددت الأقوال وتشعبت الآراء، وإليك تفصيل القول في هذا.

القول الأول:

إن آخر ما نزل من القرآن قوله تعالى في آخر صورة البقرة: ((وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ))، (البقرة: ٢٨١) والدليل على ذلك:

١ - روى النسائي من طريق عكرمة عن ابن عباس - (رضي الله عنهما) -، قال: آخر ما نزل من القرآن وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ... الآية.

٢ - وروى ابن مردويه بسنده عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس - (رضي الله عنهما) - قال: آخر آية نزلت من القرآن وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ... الآية.

٣ - وذكر البغوي في تفسيره عند هذه الآية عن ابن عباس - (رضي الله عنهما) - قال: هذه آخر آية نزلت على رسول الله - (ﷺ) -

، فقال له جبريل ضعها على رأس مائتين وثمانين، من سورة البقرة وعاش بعدها رسول الله - ﷺ - واحدا وعشرين يوما - وقال ابن جريج: تسع ليال وقال سعيد بن جبير: سبع ليال.

وهذا الرأي هو أرجح الآراء والأقوال، وهو الذي تركز إليه النفس بعد النظر في هذه الأحاديث أو الآثار وذلك لما يأتي:
أ- لم يحظ قول من الأقوال التي سنذكرها بجملة من الآثار، وأقوال أئمة التفسير مثل ما حظي به هذا القول.
ب- ما تشير إليه هذه الآية في ثناياها من التذكير باليوم الآخر، والرجوع إلى الله ليؤتي كلا جزاء عمله، وهو أنسب بالختام.

ج- ما ظفر به هذا القول من تحديد الوقت بين نزولها، وبين وفاة النبي - ﷺ - ولم يظفر قول غيره بمثل هذا التحديد، ولا يضر الاختلاف في تحديد المدة، فالروايات التي حددت المدة بينها قدر مشترك، وهو بيان قرب نزول هذه الآية من وفاة النبي - ﷺ -.

القول الثاني:

أن آخر ما نزل هو قوله تعالى في سورة البقرة: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ))، (البقرة: الآية ۲۷۸).

ويدل لذلك ما أخرجه البخاري عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: آخر آية نزلت على النبي - ﷺ - آية الربا، وأخرج البيهقي عن عمر - رضي الله عنه - مثله، والمراد بآية الربا الآية التي ذكرناها.
والحق هو الأول ويجب عن هذا القول: إما بأنها آخر آية نزلت في شأن الربا وإما بأن المراد أنها من أواخر الآيات نزولا. ويؤيد هذا الجواب الأخير، وأنها ليست آخر آية على الإطلاق، ما رواه الإمام أحمد، وابن ماجه، عن عمر - رضي الله عنه - نفسه قال: (من آخر ما نزل آية الربا). وما ذكره ابن مردويه عن أبي سعيد الخدري قال: خطبنا عمر - رضي الله عنه - فقال: (إن من آخر القرآن نزولا آية الربا).

والظاهر أن هذا هو مراد ابن عباس - رضي الله عنهما - أيضاً في روايته، وهذا التعبير له نظائر في اللغة العربية.
ويرى بعض العلماء أن المراد بقول ابن عباس - رضي الله عنه - (آية الربا) أي الآية التي ختمت بها آيات الربا وهي: ((وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ)) ... وعلى هذا تكون رواية البخاري مؤيدة لما ذكرناه عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في القول الأول.

القول الثالث:

إن آخر آية نزلت آية الدين، وهي قوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ف فَاكْتُبُوهُ... الآية))، (البقرة: ۲۸۲) وهي أطول آية في القرآن الكريم. أخرج أبو عبيد في كتاب (فضائل القرآن) عن ابن شهاب الزهري قال: (آخر القرآن عهدا بالعرش آية الربا، وآية الدين) وأخرج ابن جرير من طريق ابن شهاب، عن سعيد ابن المسيب: (أنه بلغه أن آخر القرآن عهدا بالعرش آية الدين) وهو مرسل، صحيح الإسناد.

ويجب عن هذا القول: بأن هذه الآية آخر ما نزل في باب (المعاملات) فهي آخر آية مقيدة، لا مطلقة كالأية الأولى.

القول الرابع:

إن آخر ما نزل هو قوله تعالى: ((يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ)) ، (سورة النساء: ١٧٦)، وآخر ما نزل من السور «براءة».

ويدل على هذا ما رواه البخاري ومسلم عن البراء بن عازب أنه قال: آخر سورة نزلت (براءة) وآخر آية نزلت ((يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ...))
ويجاب عن هذا بأن سورة براءة آخر ما نزل في شأن القتال والجهاد، أو أن في الكلام تقديرا، أي من أواخر السور نزولا سورة براءة وأن آية الكلاله آخر ما نزل في شأن الموارث.

القول الخامس:

إن آخر ما نزل قوله تعالى: ((وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا))، (النساء: ٩٣).

واستدل صاحب هذا القول بما رواه البخاري وغيره عن ابن عباس -رضي الله عنهما- .
قال: نزلت هذه الآية: ((وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا)) وهي آخر ما نزل وما نسخها شيء.
ويجاب عن هذا القول: بأنها آخر ما نزل في حكم قتل المؤمن عمدا فهي آخريه مقيدة، ويؤيد هذا قوله في الحديث: «وما نسخها شيء» فهو يدل على نزول شيء بعدها ولكن ليس بناسخ لها.

القول السادس:

إن آخر ما نزل هو قوله تعالى في خاتمة سورة براءة: ((لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾)) ، (سورة التوبة: ١٢٨ - ١٢٩).

والدليل على ذلك ما رواه الحاكم في المستدرک عن أبي بن كعب -رضي الله عنه- قال: ((آخر آية نزلت لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ... إلى آخر السورة)).
ويجاب عنه: بأنهما آخر ما نزل من سورة براءة، أو أنه أخير بذلك بحسب ظنه واجتهاده.

القول السابع:

إن آخر ما نزل سورة المائدة، واستند صاحب هذا القول إلى ما رواه الترمذي، والحاكم عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: ((آخر سورة نزلت المائدة فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه، وما وجدتم من حرام فحرموه)).

ويجاب عن هذا القول: بأنها آخر سورة نزلت في الحلال والحرام.

القول الثامن:

إن آخر سورة نزلت هي: ((إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ)) السورة.

روى هذا مسلم في صحيحه عن ابن عباس -رضي الله عنهما-، ورواه النسائي أيضاً عنه.

ويجاب عن هذا القول: بأنها آخر سورة نزلت بتمامها في حجة الوداع، فلا ينافي نزول آية أو آيات بعدها.

أو أنها آخر ما نزل مشعراً بوفاة النبي - ﷺ - ويؤيد هذا ما رواه البخاري عن ابن عباس -رضي الله عنهما- حين

سأله عمر -رضي الله عنه- بمحضر من الصحابة عنها، فقال: ((أجل، أو مثل ضرب لمحمد - ﷺ - نعت إليه

نفسه)) وفي رواية أخرى للبخاري عن ابن عباس -رضي الله عنهما-: ((هو أجل رسول الله - ﷺ - أعلمه إياه)).

فقال عمر -رضي الله عنه- ما أعلم منها إلا ما تقول، وروى أبو يعلى عن ابن عمر -رضي الله عنهما-: ((أن هذه

السورة نزلت في حجة الوداع، في أوسط أيام التشريق، فعرف رسول الله - ﷺ - أنه الوداع)).

القول التاسع:

أن آخر ما نزل هو قوله تعالى: ((فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِنْ

بَعْضٍ...))، (آل عمران: ١٩٥) الآية. فقد أخرج ابن مردويه من طريق مجاهد عن أم سلمة -رضي الله عنها- أنها

قالت: آخر آية نزلت هذه الآية ((فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ...))

والظاهر أن مرادها آخر آية نزلت في شأن النساء.

القول العاشر:

أن آخر ما نزل هو قوله تعالى: ((الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ

دِينًا))، (المائدة: ٣) فإنها تدل على إكمال الدين، في ذلك اليوم المشهود، الذي نزلت فيه، وهو يوم عرفة في حجة

الوداع، وكان يوم الجمعة، ففهموا منه أن إكمال الدين لا يكون إلا بإكمال نزول القرآن الكريم.

والحق: أن هذا الزعم غير صحيح، ولم يقل أحد قط من العلماء إنها آخر ما نزل من القرآن، والإمام السيوطي، وهو

الباقعة الذي لا يخفى عليه قول، سرد الأقوال في آخر ما نزل، ولم ينقل عن أحد مثل هذا القول بل نبه على خطئه.

وأخيراً عرفت أن القول الأول هو الصحيح الراجح، وعرفت الإجابة عما ورد مخالفاً له، وأن المراد أواخر مقيدة، لا مطلقة

وهذه الطريقة في التوفيق بين النصوص المتعارضة في هذا الباب هي أعدل الطرق، وهي المنهج الذي سلكه المحققون من

العلماء

الأسئلة والأجوبة

س ١/ ما هي فوائد معرفة أول ما نزل من القرآن الكريم وآخر ما نزل منه.

ج ١/ يترتب على العلم بأول ما نزل، وآخر ما نزل فوائد منها:

١ - معرفة الناسخ والمنسوخ: فيما إذا وردت آيتان أو أكثر في موضوع واحد، وحكم إحداهما يغيّر الأخرى تغييراً لا يمكن معه الجمع، فنعرف أن المتأخر منها ناسخ للمتقدم.

٢ - معرفة تاريخ التشريع الإسلامي: وذلك مثل ما إذا عرفنا أن الآيات التي نزلت في فرضية الصلاة بمكة، قبل الهجرة، وأن الآيات التي نزلت في فرض الزكاة والصوم كانت في السنة الثانية بعد الهجرة.. وأن الآيات التي نزلت في فرض الحج كانت في السنة السادسة، على ما هو الراجح، أمكننا أن نرتبها ترتيباً تشريعياً، فنقول: إن أول ما فرض الصلاة، ثم الصوم ثم الزكاة، ثم الحج.

٣ - معرفة التدرج في التشريع، فتوصل إلى حكمة الله تعالى العالوية في أخذ الشعوب بهذه السياسة الحكيمة في الإسلام، وذلك مثل ما إذا عرفنا ترتيب الآيات التي نزلت في شأن تحريم الخمر، وقد ذكرنا ذلك آنفاً، ومثل ما إذا عرفنا أن الآيات الداعية إلى أصول العقائد نزلت أولاً، وأن الآيات التي نزلت في التشريعات التفصيلية، والأحكام العملية نزلت بعدها، أدركنا أسرار الله في التربية والتشريع، فما لم تعرف الأصول، وتطمئن إليها القلوب، لا يسهل الأخذ بالفروع.

س ٢/ ذهب أكثر العلماء إلى إن أول ما نزل هو قوله تعالى: ((اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝)) (العلق ١ - ٥)، اذكر أدلتهم على ذلك.

ج ٢/ يدل على ذلك ما يأتي:

أ- روى البخاري ومسلم -واللفظ للبخاري- بسندهما عن عائشة أم المؤمنين -رضي الله عنها- أنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله -ﷺ- من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حُبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء، فيتحنث فيه -وهو التعبّد- الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة، فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق، وهو في غار حراء، فجاءه الملك، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: ((اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝)) (العلق ١ - ٥) فرجع بها إلى خديجة يرتجف فؤاده، فقال: زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة -وأخبرها الخبر- لقد خشيت على نفسي، فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم وتقرى الضيف ... الحديث.

وعائشة رضي الله عنها- وإن لم تعين القصة وتشاهدها، إلا أنه يحتمل أن تكون سمعتها من النبي -صلى الله عليه وسلم- بعد، أو حدثها بها صحابي سمعها من النبي -ﷺ- ، وأيا كان الأمر فهو حديث متصل مرفوع، ولذلك أجمعوا على أن مراسيل الصحابة حجة.

ب- وروى الحاكم في (مستدرکه) والبيهقي في (دلائل النبوة) وصحاحه عن عائشة - رضي الله عنها- أنها قالت: أول سورة نزلت من القرآن أقرأ باسم ربك ومرادها بالسورة صدرها، وإلا فباقيها نزل بعد، كما تدل على ذلك رواية الصحيحين.

س ٣/ ذهب بعض العلماء إلى إن أول ما نزل هو قوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ١) قُمْ فَأَنْذِرْ ٢) وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ٥))، (المدثر: ١ - ٥) ، فما ردك على هذا.
ج ٣/ أجيب عن هذا بأجوبة منها:

١ - أن ((يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ١)) أول ما نزل بعد فترة الوحي، أما (اقرأ) فهي أول ما نزل على الإطلاق. ويؤيد هذا التأويل ويقويه ما رواه الشيخان أيضا من طريق الزهري -واللفظ للبخاري- عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- قال: سمعت النبي - ﷺ - وهو يحدث عن فترة الوحي، فقال في حديثه: فبينما أنا أمشي إذ سمعت صوتا من السماء، فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فجئته منه رعبا، فقلت: زملوني، زملوني، فذرني، فأنزل الله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ١) قُمْ فَأَنْذِرْ ٢) وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ٥))، - قبل أن تفرض الصلاة- وهي الأوثان» والمراد بالرجز الأوثان أو عبادتها.

فقوله: وهو يحدث عن فترة الوحي نص على أن ذلك كان بعد فترة الوحي، فهي أولية مقيدة لا مطلقة. وكذلك قوله - ﷺ -: (فإذا الملك الذي جاءني بحراء ..) يدل على أن هذه القصة متأخرة عن قصة حراء، التي نزل فيها: ((اقرأ باسم ربك الذي خلق ١)).

٢ - أن أول سورة (المدثر) مقيد بما نزل متعلقا بالإنذار، ولذلك دعا النبي - ﷺ - بعدها إلى الله تعالى، بخلاف صدر سورة العلق، فهو مطلق غير مقيد بشيء خاص.

س ٤/ ذهب أكثر العلماء إلى إن آخر ما نزل من القرآن الكريم قوله تعالى: ((وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ)) ، (البقرة: ٢٨١)، اذكر أدلتهم على ذلك.
ج ٤/ يدل على ذلك ما يأتي:

١ - روى النسائي من طريق عكرمة عن ابن عباس -رضي الله عنهما-، قال: آخر ما نزل من القرآن وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ... الآية.

٢ - وروى ابن مردويه بسنده عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: آخر آية نزلت من القرآن وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ... الآية.

٣ - وذكر البغوي في تفسيره عند هذه الآية عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: هذه آخر آية نزلت على رسول الله - ﷺ -، فقال له جبريل وضعها على رأس مائتين وثمانين، من سورة البقرة وعاش بعدها رسول الله - ﷺ - واحدا وعشرين يوما- وقال ابن جريج: تسع ليال وقال سعيد بن جبير: سبع ليال.

الدرس الثامن

ترتيب سور القرآن و آياته

الآية لغة:

أطلقت كلمة الآية في أصل اللغة على معان متعددة أشهرها:

- ١ - العلامة: ومنه قوله تعالى: ((إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ)) أي: علامة ملكه.
- ٢ - الدليل: ومنه قوله تعالى: ((وَمِن آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ)) أي: دلائل قدرته.
- ٣ - العبرة: ومنه قوله تعالى: ((إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ)) أي: عبرة لمن بعدهم.
- ٤ - المعجزة: ومنه قوله تعالى: ((سَلِّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ)) أي: من معجزة واضحة.

٥ - الجماعة: ومنه قوله تعالى: ((خَرَجَ الْقَوْمَ بآيَتِهِمْ ، أَي بِجَمَاعَتِهِمْ))

٦ - البرهان والدليل: ومنه: ((وَمِن آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ))

أي: ومن براهين وجود الله سبحانه ودلائله

وفي الاصطلاح: جزء من السورة لها مبدأ ونهاية، وآخرها يسمى فاصلة.

والمناسبة بين المعنى اللغوي والاصطلاحى ظاهرة لأنها علامة على نفسها بانفصالها عما قبلها وما بعدها، أو لأن فيها عبراً ودلائل لمن أراد أن يتذكر، أو لأنها بانضمامها إلى غيرها تكون معجزة دالة على صدق الرسول -صلى الله عليه وسلم-.

فوائد معرفة الآيات:

ومعرفة الآيات وعددها وفواصلها فوائد منها:

- ١ - معرفة الوقف، على رؤوس الآي لأنه سنة كما يدل عليه بعض الأحاديث الواردة.
- ٢ - أنه يعين على صحة الصلاة، فإن الإجماع انعقد على أن الصلاة لا تصح بنصف آية، وقال جمع من العلماء تجزي بآية، وآخرون بثلاث آيات وآخرون لا بد من سبع، وكذلك اعتبارها فيمن جهل الفاتحة فإنه يجب بدلها سبع آيات. عند من أوجبها، ومنها اعتبارها في الخطبة، فإنه تجب فيها قراءة آية كاملة، ولا يكفي شطرها إن لم تكن طويلة، وكذا الطويلة على ما عليه الجمهور.

٣ - أن الإعجاز لا يقع بأقل من ثلاث آيات قصار أو آية طويلة تعادلها فما لم تعرف الآية لا يمكننا أن نقف على القدر المعجز من القرآن.

- ٤ - ومنها اعتبارها في قراءة قيام الليل، ففي أحاديث: ((من قرأ بعشر آيات لم يكتب من الغافلين))، ((ومن قرأ بخمسين آية في ليلة كتب من المحافظين))، ((ومن قرأ بمائة آية كتب من القانتين))، ((ومن قرأ بمائتي آية كتب من الفائزين))، ((ومن قرأ بثلاثمائة آية كتب له قنطار من الأجر))، ((ومن قرأ بخمسمائة، وسبعمائة، وألف آية...)) أخرجها الدارمي في مسنده مفرقة.

معرفة الآيات توقيفية:

وآيات القرآن الكريم كلها توقيفية لا تعلم إلا من الشارع، قال الزمخشري في تفسيره (فإن قلت ما بالهم عدوا بعض الفواتح آية دون بعض؟ قلت: هذا علم توقيفي لا مجال للقياس فيه، كمعرفة السور أما (الم) فأية حيث وقعت من السور المفتوحة بها، وهي ست، وكذلك (المص) آية، و(المر) لم تعد آية، و(الر) ليست بأية في سورها الخمس و(طسم) آية في سورتها، و(طه) و(يس) آيتان، و(طس) ليست بأية، و(حم) آية في سورها كلها، و(حم * عسق) آيتان، و(كهيعص) آية واحدة و(ص) و(ق) و(ن) ثلاثها لم تعد آية، هذا مذهب الكوفيين، ومن عداهم لم يعدوا شيئاً منها آية.

فإن قلت فكيف عد ما هو في حكم كلمة واحدة آية قلت: كما عد (الرَّحْمَن) وحده و(مُدْهَامَتَانِ) وحدها آيتين على طريق التوقيف)

ترتيب الآيات:

ترتيب الآيات في سورها توقيفي، فقد كان جبريل -عليه السلام- يوقف النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- على مواضع الآيات من سورها، وكان رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول: ((ضعوا آية كذا في سورة كذا...)) روى أحمد وأصحاب السنن الثلاثة وصححه ابن حبان والحاكم من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما-، عن عثمان بن عفان -رضي الله عنه-، قال: كان رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مما يأتي عليه الزمان ينزل عليه من السور ذوات العدد فكان إذا نزل عليه الشيء يدعو بعض من يكتب فيقول: ((ضعوا هذا في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا)) الحديث، وقد حصل اليقين من النقل المتواتر بهذا الترتيب من قراءة رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ومما أجمع الصحابة -رضي الله عنهم- على وضعه هكذا في المصحف، وقد أجمع العلماء أن ترتيب الآيات توقيفي وتواردت النصوص الصحيحة على ذلك.

أما النصوص فكثيرة منها ما رواه مسلم عن عمر -رضي الله عنه- قال: ما سألت النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عن شيء، أكثر مما سألته عن الكلاله حتى طعن بإصبعه في صدري وقال: ((أما تكفيك آية الصيف التي في آخر النساء)). ومنها الأحاديث الصحيحة في خواتيم سورة البقرة: ((من قرأ الآيتين من خواتيم سورة البقرة في ليلة كفتاه)). رواه البخاري وغيره.

وأما الإجماع فنقله غير واحد، منهم الزركشي في البرهان، وأبو جعفر بن الزبير في مناسباته، ونص عبارته: (ترتيب الآيات في سورها واقع بتوقيفه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأمره بلا خلاف في هذا بين المسلمين).

وقال ابن الحصار: (ترتيب السور، ووضع الآيات إنما كان بالوحي كان رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول: ((ضعوا آية كذا في موضع كذا))، وقد حصل اليقين من النقل المتواتر بهذا الترتيب من تلاوة رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ومما أجمع الصحابة -- رضي الله عنهم-- على وضعه هكذا في المصحف.

السور وترتيبها

السورة في اصطلاح العلماء (طائفة مستقلة من آيات القرآن الكريم جمعت وضم بعضها إلى بعض حتى بلغت في الطول والمقدار الذي أراه الله سبحانه وتعالى لها) وكل سور القرآن الكريم بدئت بالبسملة إلا براءة).

معرفة السور توقيفي:

ومعرفة سورة القرآن الكريم كلها توقيفي كمعرفة آياته، وسور القرآن الكريم تختلف طولاً وقصراً، فأطول سورة هي البقرة، وأقصر سورة هي الكوثر.

وكان من علامة ابتداء السورة نزول بسم الله الرحمن الرحيم أول ما ينزل شيء منها، يدل على ذلك ما أخرجه أبو داود وصححه ابن حبان والحاكم من طريق عمرو بن دينار، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: ((كان النبي -صلى الله عليه وسلم- لا يعلم ختم السورة حتى ينزل بسم الله الرحمن الرحيم)) وفي رواية: ((إذا نزلت بسم الله الرحمن الرحيم علم أن السورة قد انقضت)) يعني هي دلالة على انقضاء ما قبلها، وعلى ابتداء سورة بعدها.

الحكمة في تسوير القرآن الكريم:

ولتسوير القرآن الكريم سوراً فوائدها:

- ١ - حسن الترتيب والتنويع والتبويب فالجنس إذا انطوت تحته أنواع وأصناف كان أحسن وأفخم من أن يكون باباً واحداً، ونوعاً واحداً، ولا يزال المؤلفون من قديم الزمان إلى يومنا هذا يجعلون كتبهم أبواباً وفصولاً، حتى أضحى حسن الترتيب والتبويب من أعظم المشوقات إلى قراءة الكتاب، بل أصبح تبويب الكتب وتنسيقها فناً مستقلاً برأسه.
- ٢ - تسهيل الحفظ وبعث الهمة والنشاط، ألا ترى أن القارئ إذا أكمل سورة ثم أخذ في حفظ غيرها كان ذلك أنشط له، وأبعث على التحصيل منه لو استمر على الكتاب بطوله، ومثل ذلك المسافر إذا قطع مرحلة ثم شرع في غيرها ازداد قوة ونشاطاً، ولا يزال يتجدد نشاطه، كلما بلغ مرحلة حتى يصل إلى غايته.
- ٣ - إن الحفاظ إذا حفظ سورة وحذقها اعتقد أنه أخذ من كتاب الله تعالى حظاً ونصيباً، فيعظم عنده ما حفظه، ويعظم هو في نفوس الناس، يشير إلى هذا المعنى حديث أنس -رضي الله عنه-: كان الرجل إذا حفظ البقرة وآل عمران جد فينا أي: عظم.
- ٤ - إن في التسوير والتفصيل تلاحق الأشكال، والنظائر، وملاءمة بعضها لبعض وبذلك تتلاحم المعاني والنظم، ولذلك نجد أغلب سور القرآن الكريم يدور الحديث فيها حول موضوع بارز، ولها نمط خاص تستقل به، فسورة يوسف تتحدث عن قصته وسورة إبراهيم تتحدث عنه، وسورة النساء تتحدث عن ما لهن، وما عليهن وسورة آل عمران تتحدث عن قصصهم، وهكذا.

الحكمة في كون سوره طويلاً وقصيراً:

- ١ - التنبيه على أن الطول ليس شرطاً للإعجاز فهذه سورة الكوثر ثلاث آيات، وهي معجزة إعجاز سورة البقرة، وفي هذا إثبات إعجاز القرآن الكريم، على أبلغ وجه.
- ٢ - التدرج في تعليم القرآن الكريم من السور القصار إلى ما فوقها، وفي ذلك تيسير من الله تعالى على عباده لحفظ كتابه إلى غير ذلك من الحكم.

تقسيم السور باعتبار الطول والقصر:

قسّم العلماء السور إلى أربعة أقسام:

- ١ - الطوال: وهي سبع: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام والأعراف، والسابعة قيل: الأنفال وبراءة لعدم الفصل بينهما بالبسمة، وقيل يونس.
- ٢ - المثون: ما ولي الطوال وهي ما تزيد آياتها على مائة أو تقاربها.
- ٣ - المثاني: ما ولي المثين، وهي السور التي آياتها تقارب مائة، وسميت مثاني لأنها تثني - أي تتكرر - أكثر مما يثنى الطوال والمثون.
- ٤ - المفصل: هو أو آخر القرآن أو ما ولي المثاني من قصار السور سمي بذلك لكثرة الفواصل التي بين السور بالبسمة، وقيل لقلة المنسوخ فيه، وقد اختلف في أوله على أقوال، فقيل: أوله (ق)، وقيل (الحجرات)، وهو الذي صححه النووي، وللمفصل طوال وأوساط وقصار، فالطوال من (الحجرات) إلى (سورة البروج) والأوساط من (سورة الطارق) إلى سورة (لم يكن) والقصار من (سورة الزلزلة) إلى آخر القرآن الكريم.

ترتيب سور القرآن الكريم:

اختلف في ترتيب السور على أقوال ثلاثة:

- الأول: ما ذهب إليه جماعة من العلماء، وهو أن ترتيب السور بتوقيف من النبي - ﷺ - ، فلم توضع سورة في موضعها من المصحف إلا بناء على أمر النبي - ﷺ - ، وتعليمه، أو برمزه وإشارته، على حسب ما فهموه من تلاوته - ﷺ - ، وممن ذهب إلى هذا أبو جعفر بن النحاس والكرماني، وابن الحصار وأبو بكر الأنباري، قال أبو بكر الأنباري: (أنزل الله تعالى القرآن الكريم كله إلى السماء الدنيا، ثم فرقه في بضع وعشرين سنة فكانت السورة تنزل لأمر يحدث والآية جواباً لمستخبر، ويوقف جبريل النبي - ﷺ - على موضع الآية والسورة، فاتساق السورة كاتساق الآيات والحروف، كله عن النبي - صلى الله عليه وسلم - فمن قدم سورة أو أخرها فقد أفسد نظم القرآن).
- وقال الكرماني في البرهان: (ترتيب السور هكذا هو عند الله تعالى في اللوح المحفوظ على هذا الترتيب، وعليه كان - ﷺ - يعرض على جبريل كل سنة ما كان يجتمع عنده منه، وعرض عليه في السنة التي توفي فيها مرتين، وكان آخر الآيات نزولاً ((وَأَتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ)) فأمره جبريل أن يضعها بين آيتي الربا، والدين).

واستدل هؤلاء بما يلي:

١ - بأن الصحابة -رضوان الله تعالى عليهم- أجمعوا على ترتيب المصحف الذي كتب في عهد عثمان -رضي الله عنه- ولم يخالف في ذلك أحد، حتى من كان عنده مصاحف مكتوبة على ترتيب آخر، فلو لم يكن الأمر توقيفياً لحصل من أصحاب المصاحف الأخرى المخالفة في الترتيب والتمسك بترتيب مصاحفهم، لكن عدولهم عنها وعن ترتيبها بل وإحراقها دليل على أن الأمر ليس للرأي فيه مجال، ولا يشترط أن يكون التوقيف بنص صريح، بل قد يكفي فيه الفعل أو الرمز والإشارة.

٢ - مما يدل على التوقيف كون الحواميم رتب ولاء أي متتابعة، ولم ترتب المسبحات ولاء، بل فصل بين سورها بالمجادلة والممتحنة والمنافقون، كما فصل بين طسم الشعراء، وطسم القصص بطس النمل، مع أنها أقصر منها، فلو كان الترتيب اجتهادياً لما حصل الفرق بين المتماثلات من السور في الفواتح مع التناسب في الطول والقصر.

الرأي الثاني: أن الترتيب كان باجتهاد من الصحابة -رضوان الله تعالى عليهم- ونسب هذا القول السيوطي إلى الجمهور وممن قال بهذا جمهور العلماء ومنهم: الإمام مالك وأبو بكر الطيب في أرجح قولييه.

واستدل اصحاب هذا الرأي باختلاف ترتيب مصاحف الصحابة قبل الجمع في عهد عثمان -رضي الله عنه-، فلو كان الترتيب توقيفياً لما اختلفت مصاحفهم في ترتيب السور، لكنها اختلفت، فمنهم من رتب على النزول كمصحف عليّ -رضي الله عنه-، كان أوله اقرأ، ثم المدثر، ثم ن، ثم المزمل، ثم تبت، ثم التكوير، ثم سبح وهكذا إلى آخر المكي ثم المدني. وأما مصحف ابن مسعود -رضي الله عنه- فكان مبدوءاً بالبقرة، ثم النساء، ثم آل عمران، ثم الأعراف، ثم الأنعام، ثم المائة، ثم يونس ... ، إلخ.

ومصحف أبي -رضي الله عنه- كان مبدوءاً بالحمد، ثم بالبقرة، ثم النساء، ثم آل عمران، ثم الأنعام، ثم الأعراف، ثم المائة .. إلخ.

وأجيب عن هذا بأن الاختلاف لا يصلح أن يكون دليلاً على أنه ليس توقيفياً، وذلك لأن مصاحفهم لم تكن مصاحف عامة، بل كانت مصاحف خاصة جمعت إلى القرآن الكريم بعض مسائل العلم والتأويل، وبعض المأثورات، فهي إلى كتب العلم والتأويل أقرب منها إلى المصاحف المجردة، لذلك لم يعتمد عليها عند جمع المصاحف في عهد عثمان -رضي الله عنه-، في زيادة أو نقص، وكذلك لم يعول عليها في الترتيب، أو يقال: إن اختلافهم كان قبل العلم بالتوقيف، فلما علموا تركوا ترتيب مصاحفهم واتبعوا ترتيب المصاحف العثمانية.

الرأي الثالث: أن بعض السور علم ترتيبها بالتوقيف وبعضه الآخر كان ترتيبها باجتهاد من الصحابة، وإلى هذا ذهب فطاحل العلماء منهم: القاضي أبو محمد بن عطية حيث قال: ظاهر الآثار أن السبع الطوال والحواميم والمفصل كان مرتباً في زمن النبي -ﷺ- ، وكان في السور ما لم يرتب فهذا هو الذي رتب وقت الكتابة.

وقال البيهقي في المدخل: ((كان القرآن الكريم على عهد النبي -ﷺ- مرتباً سورة وآياته على هذا الترتيب، إلا الأنفال وبراءة)) فقد حصر الذي هو باجتهاد في هاتين السورتين فقط، وقد اختار السيوطي ما ذهب إليه البيهقي حيث

قال: والذي ينشرح له الصدر ما ذهب إليه البيهقي، وهو أن جميع السور ترتبها توقيفي إلا براءة والأنفال، ولا ينبغي أن يستدل بقراءته - ﷺ - سوراً ولاء على ترتيبها كذلك، وحينئذ فلا يرد حديث قراءته النساء قبل آل عمران: لأن ترتيب السور في القراءة ليس بواجب، ولعله فعل ذلك لبيان الجواز.

ويشهد لما ذكره البيهقي ما رواه أحمد والترمذي وغيرهما عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قلت لعثمان -رضي الله عنه-: ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني وإلى براءة وهي من المثين فقرنتم بينهما ولم تكتبوا سطر «بسم الله الرحمن الرحيم» ووضعتموهما في السبع الطوال فقال عثمان -رضي الله تعالى عنه- كان رسول الله - ﷺ - ينزل عليه السور ذوات العدد، فكان إذا نزل عليه شيء دعا بعض من يكتب فيقول: ((ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا))، وكانت الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة، وكانت براءة من أواخر القرآن نزولاً، وكانت قصتها شبيهة بقصتها فظننت أنها منها فقبض رسول الله - ﷺ - ، ولم يبين لنا أنها منها، فمن أجل ذلك قرنت بينهما، ولم أكتب «بسم الله الرحمن الرحيم» ووضعتها في السبع الطوال. وأجيب عن هذا الدليل:

١ - بأن هذا الحديث غير صحيح، لأن الترمذي الذي هو أحد من أخرجه قال: حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث يزيد القاضي عن ابن عباس -رضي الله عنهما- ويزيد هذا مجهول الحال فلا يصح الاعتماد على حديثه، الذي انفرد به في ترتيب سور القرآن.

٢ - على تسليم صحته فيجوز أن يكون عثمان -رضي الله عنه- حين إخباره لابن عباس -رضي الله عنهما- لم يكن عنده شيء مسموع بشأن الترتيب بين السورتين، فلا ينافي أنه علم بعد ذلك. إذ: الرأي الراجح هو ما ذهب إليه الفريق الأول، وهو أن ترتيب السور بتوقيف من النبي - ﷺ - .

الأسئلة والأجوبة

س ١ / أطلقت كلمة الآية في أصل اللغة على معان متعددة، أذكرها.

ج ١ / أطلقت كلمة الآية في أصل اللغة على معان متعددة أشهرها:

١ - العلامة: ومنه قوله تعالى: ((إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ)) أي: علامة ملكه.

٢ - الدليل: ومنه قوله تعالى: ((وَمِن آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ)) أي: دلائل قدرته.

٣ - العبرة: ومنه قوله تعالى: ((إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ)) أي: عبرة لمن بعدهم.

٤ - المعجزة: ومنه قوله تعالى: ((سَلِّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ)) أي: من معجزة واضحة.

س ٢ / معرفة الآيات وعددها وفواصلها فوائد كثيرة، بينها.

ج ٢ / معرفة الآيات وعددها وفواصلها فوائد منها:

١ - معرفة الوقف، على رؤوس الآي لأنه سنة كما يدل عليه بعض الأحاديث الواردة.

٢ - أنه يعين على صحة الصلاة، فإن الإجماع انعقد على أن الصلاة لا تصح بنصف آية، وقال جمع من العلماء تجزي

بآية، وآخرون بثلاث آيات وآخرون لا بد من سبع، وكذلك اعتبارها فيمن جهل الفاتحة فإنه يجب بدلها سبع آيات.

عند من أوجبها، ومنها اعتبارها في الخطبة، فإنه تجب فيها قراءة آية كاملة، ولا يكفي شطرها إن لم تكن طويلة، وكذا

الطويلة على ما عليه الجمهور.

٣ - أن الإعجاز لا يقع بأقل من ثلاث آيات قصار أو آية طويلة تعادلها فما لم تعرف الآية لا يمكننا أن نقف على

القدر المعجز من القرآن.

٤ - ومنها اعتبارها في قراءة قيام الليل، ففي أحاديث: ((من قرأ بعشر آيات لم يكتب من الغافلين))، ((ومن قرأ

بخمسين آية في ليلة كتب من المحافظين))، ((ومن قرأ بمائة آية كتب من القانتين))، ((ومن قرأ بمائتي آية كتب من

الفائزين))، ((ومن قرأ بثلاثمائة آية كتب له قنطار من الأجر))، ((ومن قرأ بخمسمائة، وسبعمائة، وآلف آية...))

أخرجها الدارمي في مسنده مفرقة.

س ٣ / ما الحكمة في تسوير القرآن الكريم.

ج ٣ / لتسوير القرآن الكريم سوراً فوائد منها:

١ - حسن الترتيب والتنويع والتبويب فالجنس إذا انطوت تحته أنواع وأصناف كان أحسن وأفخم من أن يكون باباً

واحداً، ونوعاً واحداً، ولا يزال المؤلفون من قديم الزمان إلى يومنا هذا يجعلون كتبهم أبواباً وفصولاً، حتى أضحى حسن

الترتيب والتبويب من أعظم المشوقات إلى قراءة الكتاب، بل أصبح تبويب الكتب وتنسيقها فناً مستقلاً برأسه.

٢ - تسهيل الحفظ وبعث الهمة والنشاط، ألا ترى أن القاريء إذا أكمل سورة ثم أخذ في حفظ غيرها كان ذلك أنشط

له، وأبعث على التحصيل منه لو استمر على الكتاب بطوله، ومثل ذلك المسافر إذا قطع مرحلة ثم شرع في غيرها ازداد

قوة ونشاطاً، ولا يزال يتجدد نشاطه، كلما بلغ مرحلة حتى يصل إلى غايته.

٣ - أن المحافظ إذا حفظ سورة وحذقها اعتقد أنه أخذ من كتاب الله تعالى حظاً ونصيياً، فيعظم عنده ما حفظه،

ويعظم هو في نفوس الناس، يشير إلى هذا المعنى حديث أنس -رضي الله عنه-: كان الرجل إذا حفظ البقرة وآل عمران جد في أعيننا أي: عظم.

٤ - أن في التسوير والتفصيل تلاحق الأشكال، والنظائر، وملاءمة بعضها لبعض، ولذلك نجد أغلب سور القرآن الكريم يدور الحديث فيها حول موضوع بارز، ولها نمط خاص تستقل به، فسورة يوسف تتحدث عن قصته وسورة إبراهيم تتحدث عنه، وسورة النساء تتحدث عن ما لهن، وما عليهن وسورة آل عمران تتحدث عن قصصهم، وهكذا.

س٤ / ما الحكمة في كون سور القرآن الكريم طوالاً وقصاراً.

ج٤ / ١ - التنبيه على أن الطول ليس شرطاً للإعجاز فهذه سورة الكوثر ثلاث آيات، وهي معجزة إعجاز سورة البقرة، وفي هذا إثبات إعجاز القرآن الكريم، على أبلغ وجه.

٢ - التدرج في تعليم القرآن الكريم من السور القصار إلى ما فوقها، وفي ذلك تيسير من الله تعالى على عباده لحفظ كتابه إلى غير ذلك من الحكم.

س٥ / قسم العلماء سور القرآن الكريم إلى أربعة أقسام، اذكرها.

ج٥ / قسم العلماء السور إلى أربعة أقسام:

١ - الطوال: وهي سبع: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام والأعراف، والسابعة قيل: الأنفال وبراءة لعدم الفصل بينهما بالبسملة، وقيل يونس.

٢ - المئون: ما ولي الطوال وهي ما تزيد آياتها عن مائة أو تقاربها.

٣ - المثاني: ما ولي المثين، وهي السور التي آياتها تقارب مائة، وسميت مثاني لأنها تثنى أكثر مما يثنى الطوال والمئون.

٤ - المفصل: ما ولي المثاني من قصار السور سمي بذلك لكثرة الفواصل التي بين السور بالبسملة، وقيل لقلة المنسوخ فيه، وقد اختلف في أوله على أقوال، فقييل: أوله (ق)، وقيل (الحجرات)، وهو الذي صححه النووي، وللمفصل طوال وأوساط وقصار، فالطوال من (الحجرات) إلى (سورة البروج) والأوساط من (سورة الطارق) إلى سورة (لم يكن) والقصار من (سورة الزلزلة) إلى آخر القرآن الكريم.

الفهرست

الصفحة	المواضيع	ت
٣	المقدمة	١
٥	الفصل الأول	٢
٧	الدرس الأول - معنى علوم القرآن	٣
١٢	الدرس الثاني - نزول القرآن الكريم	٤
١٨	الدرس الثالث - الوحي	٥
٢٣	الدرس الرابع - علم المكي و المدني	٦
٢٧	الدرس الخامس - علم أسباب النزول	٧
٣١	الفصل الثاني	٨
٣٣	الدرس السادس - جمع القرآن الكريم	٩
٤٥	الدرس السابع - أول ما نزل من القرآن الكريم وآخر ما نزل منه	١٠
٥٤	الدرس الثامن - ترتيب سور القرآن و آياته	١١
٦٢	الفهرس	١٢

